سلسلة فوائد الحافظ ابن الجوزي

روائع الفوائد وجواهر المواعظ

من

كتب الحافظ ابن الجوزي رحمه الله

المجموعة الأولى

انتقاء

عبد الله بن سعيد أبو حاوي القحطاني

سِلسِلَةُ فَوائِدِ الحَافِظِ ابْنِ الجَوْزِيّ

رَوَائِعُ الفَوَائِدِ وَجَوَاهِرُ المَوَاعِظِ

مِنْ

كُتُبِ الْحَافِظِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ

الْمَجْمُوعَةُ الْأُولَى

انتِقَاءُ

عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ أَبُو حَاوِي القَحْطَانِي

الطبعة الأولى

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

حقوق الطبع
متاحة لكل مسلم

رقم الإيداع

١٤٤٨/١١٦٦٧

الترقيم الدولي

I.S.B.N

978-603-8322-71-0

الحمد لله على جميع الآلاء، وصلى الله على أشرف الأنبياء، وعلى أصحابه وأزواجه الأتقياء؛ صلاة تدوم بدوام الأرض والسماء.

أما بعد:

هذا كتاب انتقيت فيه جواهر الفوائد والمواعظ من كتب الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ من علوم مختلفه؛ أنشر لك هذه المجموعة الأولى يتبعها إن فسح الله في الأجل الفوائد من جميع كتبه كلها،وما أكثر فوائده ونوادره رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كانت النية أن تجمع كاملة إلا أن كثرة كتبه وتنوعها وما يشغلني قد حال دون ذلك، فعزمت على إخراج ما تيسر، وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول: تحريرات ابن الجوزي وبدائع أقواله، والثاني: فوائد قصيرة بديعة للحفظ، منقولاته.

ويتبعها غيرها في قابل الأيام بإذن العزيز العلام وصلى الله وسلم على خير الأنام.

القسم الأول: تحريراته

١- (لا إله إلا هو). اعلم أن ذلك في ثلاثين موضعًا.

- فأما قوله: لا إله إلا الله فحرفان في الصافات: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات:٣٥].

وفي سورة محمد: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩].

- وأما قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [الأنبياء:٢٥] فثلاثة أحرف في النحل: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل:٢].

وفي طه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾ [طه:١٤].

وفي الأنبياء: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥][(١)].

٢- النفع يسبق الضر في ثمانية أحرف.

وأما الضّر فيسبق النفع في تسعة أحرف[(٢)].

٣- عمر بن الخطاب: صفته في التوراة قرن من حديد، أمير شديد[(٣)].

٤- طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت مع النبي ﷺ يوم أحد، فجرح يومئذ أربعا وعشرين جراحة، وسماه النبي ﷺ يومئذ: طلحة الخير، ويوم غزوة ذات العشيرة: طلحة الفيّاض، ويوم

---

(١) «المجتبى من المجتنى» (٢١-٢٣).

(٢) «المجتبى من المجتنى» (ص٣٥).

(٣) «المجتبى» (ص٤٩).

حنين: طلحة الجود، وقتل يوم الجمل[١].

٥- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، هو أول من سل سيفًا في سبيل الله، ونزلت الملائكة يوم بدر على سيماه، وقتل يوم الجمل[٢].

٦- أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: روى خمسة عشر حديثا، ولم يخرج له البخاري في صحيحه شيئا، ولا أخرج له مسلم إلا في حديث العنبر من رواية أبي الزبير عن جابر، وهو قوله: «نحن رسل رسول الله ﷺ» وهو معنى تام؛ فسموه حديثا[٣].

٧- زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مولى رسول الله ﷺ، لم يذكر في القرآن صحابي باسمه غيره، وقُتل يوم مؤتة، وروى أربعة أحاديث، ولم يذكر له شيء في الصحاح[٤].

٨- صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: روى عن رسول الله ﷺ ثلاثين حديثًا، وانفرد بالإخراج عنه مسلم، فأخرج له ثلاثة أحاديث[٥].

٩- عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم يشهد بدرا ابن مُؤمِنَيْن غيره[٦].

١٠- عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وحرم الخمر في الجاهلية، وقال: لا أشرب شيئا يذهب عقلي، ويضحك بي من

---

(١) «المجتبى» (ص٥١).

(٢) «المجتبى» (ص٥٢).

(٣) «المجتبى» (ص٥٦).

(٤) «المجتبى» (ص٥٩).

(٥) «المجتبى» (ص٦٣).

(٦) «المجتبى» (ص٦٤).

هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد، فكان متعبدا[١].

١١- سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يحصى قدر ما روى عن رسول الله ﷺ إلا أن البخاري انفرد بالإخراج عنه، فأخرج له حديثًا واحدًا[٢].

١٢- عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: روى عن رسول الله ﷺ حديثًا واحدًا، وانفرد بالإخراج عنه البخاري، فأخرج له حديثًا موقوفًا[٣].

١٣- دحيه بن خليفة الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أسلم قديما، وكان جبريل يأتي في صورته، قال لنا شيخنا أبو الفضل بن ناصر: إنما كان يأتي جبريل في صورته؛ لأنه كان يدخل على الملوك.

وروى عن رسول الله ﷺ ثلاثة أحاديث، ولم يذكر له شيء في الصحاح، ولا لكل من اسمه على حرف الدال[٤].

١٤- معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال لما كتبت القضية عام الحديبية وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي، فقالت: إياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت، فأسلمت وأخفيت إسلامي، ودخل رسول الله ﷺ مكة عام القضية وأنا مسلم، وعلم أبو سفيان بذلك، فقال لي يوما: أخوك خير منك، هو على ديني. وأظهرت إسلامي عام الفتح، ولقيت النبي ﷺ فرحّب بي، وكتبت له[٥].

---

(١) «المجتبى» (ص٦٥).

(٢) «المجتبى» (ص٦٥).

(٣) «المجتبى» (ص٥١).

(٤) «المجتبى» (ص٧٣).

(٥) «المجتبى» (ص٨٧).

١٥- حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أعتق مائة رقبة في الجاهلية، ومائة في الإسلام، وأسلم يوم الفتح، وبكى يوما فقيل: ما يبكيك؟ فقال: خصال؛ أولها بطء إسلامي حتى سبقت في مواطن صالحة[١].

١٦- ولا نعلم أحدا من بنات رسول الله ﷺ أسند عنه شيئا غير فاطمة[٢].

١٧- أمّ أيمن، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: واسمها؛ بركة، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها عن أبيه وأعتقها، فتزوجها عبيد بن زيد؛ فولدت له: أيمن، وتزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة؛ فولدت له أسامة، وكان قد أصابها عطش في طريقها لمّا هاجرت، فدلّي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض، فشربت حتى رويت، فكانت تقول: ما عطشت بعدها. ولقد تعرّضت للعطش في الهواجر، وحضرت أحدا؛ فكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى وشهدت حنينا، وتوفيت في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

١٨- أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أسلمت بمكة، وبايعت قبل الهجرة، وهي أوّل من هاجر من النساء، ولا تعرف قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة سواها، وكان خروجها في هدنة الحديبية[٤].

١٩- [تسمية من تأخر موته من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]

آخر من مات من أهل العقبة: جابر بن عبد الله بن عمرو.

---

(١) «المجتبى» (ص٨٨).

(٢) «المجتبى» (ص٩٩).

(٣) «المجتبى» (ص١٠٠).

(٤) «المجتبى» (ص١٠١).

وآخر من مات من أهل بدر: أبو اليسر.

وآخر من مات من المهاجرين: سعد بن أبي وقاص، وهو آخر العشرة موتا.

آخر من مات بمكة: عبد الله بن عمر، وبالمدينة: سهل بن سعد، وبالكوفة: عبد الله بن أبي أوفى، وبالبصرة: أنس بن مالك، وبمصر: عبد الله بن الحرث بن جزء، وبالشام: عبد الله بن بُسر، وبخراسان: بريدة بن الحُصيب.

وآخر الناظرين إلى رسول الله ﷺ موتا: أبو الطفيل عامر بن واثلة[١].

٢٠- [من حمل به أكثر من مدة الحمل]

هرم بن حيان، ولد لأربع سنين. محمد بن عجلان، حمل به أكثر من ثلاث سنين.

مالك بن أنس، حمل به أكثر من سنتين. شعبة، ولد لسنتين.

الضحاك بن مزاحم، ولد لستة عشر شهرًا[٢].

٢١- حديث زرّ، عن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدّنيا؛ فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرأها**».

عبد الله؛ هو: ابن عمرو.

وكل حديث رواه زرّ عن عبد الله مطلقا فهو ابن مسعود إلا هذا

٢٢- [من المتّفق والمفترق]

---

(١) «المجتبى» (ص١٢٥).

(٢) «المجتبى» (ص١٢٨).

(٣) «المجتبى» (ص١٤٩).

أنس بن مالك خمسة أنفس:

اثنان من الصحابة: أحدهما: أبو حمزة الأنصاري.

والثاني: أبو أمية الكعبي، لم يرو عن النبي ﷺ إلا حديثًا واحدًا: «**إن الله وضع عن المسافر والمرضع الصوم وشطر الصلاة**».

والثالث: أنس بن مالك أبو مالك، ابن أنس الفقيه.

والرابع: أنس بن مالك الحمصي، مذكور في تاريخ الحمصيين.

والخامس: كوفي حدّث عن الأعمش[١].

٢٣- [من المتّفق والمفترق]

أسماء بنت عميس: امرأتان: إحداهما: صحابية.

والثانية: روت عن أبيها، عن علي بن أبي طالب[٢].

٢٤- [من المتّفق والمفترق]

سعيد بن المسيّب: ثلاثة:

أحدهم: مدني، وهو أحد الفقهاء السبعة.

والثاني: بلوي، روى عنه: يحيى بن عبد الله بن بكير.

والثالث: شيرازي، روى عن: أبي روق.

٢٥- [من المتّفق والمفترق]

---

(١) «المجتبى» (ص١٥٨).

(٢) «المجتبى» (ص١٥٩).

عمر بن الخطاب: سبعة:

أحدهم: أمير المؤمنين.

والثاني: كوفي، روى عنه خالد الواسطي.

والثالث: راسبي، روى عن سويد بن أبي حاتم.

والرابع: إسكندراني، حدث عن ضمام بن إسماعيل.

والخامس: عنبري، روى عن أبيه، عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

والسادس: بصري، روى عن معتمر بن سليمان.

والسابع: سجستاني، روى عن محمد بن يوسف الفريابي[١].

٢٦- [من المتّفق والمفترق]

القاسم بن سلاّم اثنان:

أحدهما: بصري، حدث عن: أبيه سلاّم بن مسكين.

والثاني: أبو عبيد، صاحب التصانيف.

٢٧-[مسائل يعايا بها في علم الحديث]

مسألة: هل تعرفون امرأة شهد لها بدرا سبعة بنين مسلمين؟

فالجواب: أنها عفراء بنت عبيد.

كان لها: معاذ، ومعّوذ، من الحارث بن رفاعة.

ثم تزوجت بكيرًا، فولدت له: إياسًا، وخالدًا، وعاقلًا، وعامرًا.

---

(١) «المجتبى» (ص١٦٢).

ثم رجعت إلى الحارث فولدت له عوفًا، فشهدوا كلهم بدرًا[١].

٢٨- [مسائل يعايا بها في علم الحديث]

مسألة: هل تعرفون أربعة تناسلوا من صلب تساوت أعمارهم؟

فالجواب: أنهم: حسان بن ثابت، وأبوه ثابت، وجده المنذر، وأبو جده حزام، عاش كل واحد منهم مائة وعشرين سنة[٢].

٢٩- إخواني! إيّاكم وفرعون الهوى فإنه يصلب القلوب على جذوع النخل، قد قَسَتْ القلوبُ فصارت كالحديد فَقَرِّبوها إلى نار المواعظ، ودعوني أنفخ كير التخويف حتى يحمى، وإلاّ فما ينفع الضربُ في حديد بارد؟![٣]

٣٠- أعظمُ الظُلمة ما تَقَدَمَها ضوءٌ، وأصعب الهجر ما تقدمه وصل، وأشدّ عذاب المحبّ تذكارُه وقت القرب، في المعنى:

إني لأذكـــركم فتـــذهب غُلَّتـــي ... عنِّـــي، وأذكـــرُ فقـــدَكم فتعـــودُ

وأشدّ مـن مرضـي علـيَّ صـدودكم ... وفـراقُ مـن أهـوى علـيَّ شـديدُ

أقســمت لا عَلِـقَ الفـؤاد بغيـركم ... مـا دام في الشـجر المـورِّق عُـودُ[٤]

٣١- واعَجَبًا لقلق آدم ولا معين له على الحزن، هوام الأرض لا تفهم ما يقول، والوحش لا تدري، وملائكة السماء عندها بقايا من يوم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠] فهو يجول في كربة بلا معين ولا راحم إلى أن يتداركه

---

(١) «المجتبى» (ص١٦٥).

(٢) «المجتبى» (ص١٦٦).

(٣) «المنثور» (ص٦٠).

(٤) «المنثور» (ص٦٢).

مولاه بلطفه.

ألا راحمٌ من آل ليلى فأشتكي غرامي له حتى يكلّ لساني[١]

٣٢- إخواني! ينبغي للإنسان ألا يقف إلاّ بباب مولاه، ولا يبتغي عوضًا سواه، ولا يدعو إلا إيّاه، ولا يجعل بينه وبينه حجابًا، ويسأله حاجاته القليل والكثير، قال موسى: يا ربّ أسألك القليل والكثير، قال: سلني كل شيءٍ حتى ملْحَ عَجينك وعَلَفَ شاتكْ.

انظر إلى موسى وأدبه ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف:١٤٣] تارة، وتارة رغيفًا ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٤][٢].

٣٣- لمّا تكامَل بناءُ بيت الله تعالى وهي الكعبة الحرام أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أن أذّن في الناس بالحج فقال: كيف يا ربّ يسمع صوتي جميع الخلائق؟

فقال يا إبراهيم منك النداء وعليَ البلاغ، فَعَلا إبراهيم على جبل «أبي قبيس» ونادى من كُلّ الوجوه، إن ربكم بنى لكم بيتنا فحجّوه، فأجابه من جَرى القدرُ بحجِّه: لبّيكَ اللهم لَبَّيْكَ، وكان ذلك اليوم أخًا ليوم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف:١٧٢].

لما رأيتُ مناديهم أَلَمَّ بهم شَدَدْتُ مئزر إحرامي ولَبَّيْتُ
وقلتُ يا نفس جدّي الآن واجتهدي وساعديني فهذا ما تمنيتُ
لو جئتكم زائرًا أسعى على قدمي لم أقض حقًا وأيُ الحق أَدَّيْتُ

(١) «المنثور» (ص٦٤).

(٢) «المنثور» (ص٦٧).

ثم أَعْلَمَ الجليلُ الخليلَ أن نداءك واقع في محلِّ النُجع، فقال: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[الحج:٢٧] وهم الرجّالة، وقد حجَّ إبراهيمُ وإسماعيل ماشيين، وحجَ الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خمسًا وعشرين حجة ماشيًا والنجائب تُقاد معهُ، وحجَّ الإمام أحمد بن حنبل ماشيًا مرتين.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾[الحج:٢٧] قد ضَمَّرها طول السفر صاروا صابرين على مشاق الطريق بين صعود ونزول ومضيق، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[الحج:٢٧].

فارق القومُ ديارهم، وتركوا مرادهم، وجعلوا ذِكرَه زادهم، باينوا الخلائق، وتجردوا عن العلائق، تركوا المخيط، وأقبلوا على الملك المحيط، وإنّما أمروا بالتجريد ليدخلوا زيَّ الفقراء فَبُيِّنَ أثرُ، ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾[سبأ:٣٧][(١)].

٣٤- يا مَنْ ذهب عمره في البَطالةْ، ورضيَ من الدنيا بأقبح حالَةْ، معمور الظاهر والباطن مهدوم، يا معاشر العُصاة لا تحتقروا ذنبًا وإن صَغُر، فإنّ الحشيش يفتل منه الحَبْل فيخنق الفيل المغتلم، أول الحريق شرارة، يا من يُذنب ولا يتوبُ يا من أعمت قلبَهُ الذنوبُ، يَعِدُ بالتوبة ولا وَعْدَ عُرقوب، إلى متى تتعثر في ظلمة البعادْ، وعدْ نفسك بتوبةٍ واعزم وقد حَصَّلْتها.

وَعَـــدْتَ نفســـكَ توبـــةً اعِـــزم وقـــد حَصَـــلْتَها[(٢)]

٣٥- فأمّا أسماءُ النبيِّ ﷺ فهي ثلاثةٌ وعشرون اسمًا:

---

(١) «المنثور ٧٥-٧٦».

(٢) «المنثور» (ص٨٧).

محمّد، وأحمد، والماحي، والحاشر، والعاقب، والمقفّي، ونبيّ الرحمة، ونبيّ التوبة، ونبيّ الملاحم، والشاهد، والمبشِّر، والنذير، والضحوك، والقتّال، والمتوكّل، والفاتح، والأمين، والخاتم، والمصطفى، والرسول، والنبيّ، والأمّي، والقُثَم[١].

٣٦- وقد روى حديثُ الإسراءِ جماعةٌ عنِ النبيِّ ﷺ منهم: عليٌّ بنُ أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأُبيّ بن كعب، وحذيفة، وأبو ذر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وجابر، وابن عباس، وأم هانئ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين[٢].

٣٧- جميع من ولي منهم -يقصد بني أمية -أربعة عشر رجلًا سوى عثمان، وخلص لهم الأمر اثنتين وثمانين سنة، وهي ألف شهر، ثم انتقل الأمر إلى بني العباس بن عبد المطلب عم سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ[٣].

٣٨- يا من باع الباقي بالفاني، أما ظهر لك الخسران، ما أطيب أيام الوصال، وما أمرّ أيام الهجران، ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان، وسهروا الليالي بتلاوة القرآن، فيبيتون لربهم سجدًا وقيامًا[٤].

٣٩- اعلم أن الناس كلهم في هذه الدنيا على سفر، فاعمل لنفسك ما يخلصها يوم البعث من سقر.

---

(١) «مختصر سيرة النبي ﷺ» (ص٣٧).

(٢) «مختصر السيرة» (ص٤١).

(٣) «مختصر السيرة» (ص٥٦).

(٤) «بحر الدموع» (ص٢٣).

آن الرحيـــل فكـــن علـــى حـــذرٍ ... مـــا قـــد تـــرى يغنـــي عـــن الحـــذر
لا تغتـــــرِرْ بـــــاليوم أو بغـــــدٍ ... فلـــربّ مغـــرور علـــى خطـــر[1]

٤٠- إخواني: إلى كم تماطلون بالعمل، وتطمعون في بلغ الأمل، وتغترّون بفسحة المهل، ولا تذكرون هجوم الأجل؟ ما ولدتم فللتراب، وما بنيتم للخراب، وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتب مدّخر ليوم الحساب. وأنشدوا:

ولـــــو أنـــــا إذا متنـــــا تُركنـــــا ... لكـــان المـــوت راحـــة كـــل حـــيّ
ولكنّـــــا إذا متنـــــا بُعثنـــــا ... ونســـأل بعـــدها عـــن كـــل شـــيء[2]

٤١- يا إخوان الغفلة تيقظوا، يا مقيمين على الذنوب انتهوا واتعظوا، فبالله أخبروني: من أسوأ حالا ممن استعبده هواه، أمْ من أخسر صفقة ممن باع آخرته بدنياه، فما للغفلة قد شملت قلوبكم؟ وما للجهالة قد سترت عنكم عيوبكم؟ أما ترون صوارم الموت بينكم لامعة، وقوارعه بكم واقعة، وطلائعه عليكم طالعة، وفجائعه لعذركم قاطعة، وسهامه فيكم نافذة، وأحكامه بنواصيكم آخذة؟ فحتى م؟ وإلى م؟ وعلام التخلف والمقام؟ أتطمعون في بقاء الأبد؟ كلا والواحد والصمد. إن الموت لبالرّصد، ولا يبقي على والد ولا ولد، فجدّوا، رحمكم الله، في خدمة مولاكم، وأقلعوا عن الذنوب، فلعله يتولاكم.

إخواني: ما للغافل إلى كم ينام؟ أما توقظه الليالي والأيام؟ أين سكان القصور والخيام؟ دار، والله، عليهم كأس الحِمام، فالتقطهم الموت كما يلتقط

---

(١) «بحر الدموع» (ص٢٨).
(٢) «بحر الدموع» (ص٣١).

الحبّ الحَمام. ما لمخلوق فيها دوام، طويت الصحف وجفت الأقلام[١].

٤٢- يا من يسير بعمره وقد تعدّى الحدود، ابك على معصيتك فلعلك مطرود. يا من عمره ينتهب وليس الماضي يعود، قد أسمعَتْك المواعظ من إرشادها نصحا، وأخبرك الشيب أنك بالموت تقصد وتُنحّا، وناداك لسان الاعتبار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ [الانشقاق:٦][٢].

٤٣- إخواني: إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة؟ فبالله عليكم، تعاهدوا أيامكم بتحصيل العدد، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد، وكونوا من آجالكم على رصد، فقد آذنتكم الدنيا بالذهاب، وأنتم تلعبون بالأجل وبين أيديكم يوم الحساب. آه من ثقل الحمل وسوء الرفيق، آه من قلة الزاد وبعد الطريق.

فيا أيها المغرور بإقباله، المفتون بكواذب آماله، الذي غاب عن الصواب، وهو في فعله كذّاب.

يا بطال، إلى كم تؤخر التوبة وما أنت في التأخير بمعذور؟ إلى متى يقال عنك: مفتون ومغرور؟ يا مسكين، قد انقضت أشهر الخير وأنت تعُدُّ الشهور؟ أترى مقبول أنت أم مطرود؟ أترى مواصل أنت أم مهجور؟ أترى تركب النُّجُب غدا أم أنت على وجهك مجرور؟ أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب النعيم والقصور. فاز والله المخفون، وخسر هنالك المبطلون، ألا إلى الله تصير الأمور[٣].

٤٤- يا أخي، إذا طردك مولاك عن بابه؟ فإلى باب مَن ترجع، والى أي

---

(١) «بحر الدموع ٤٠-٤١».

(٢) «بحر الدموع» (ص٤٥).

(٣) «بحر الدموع» (ص٥٧).

طريق تذهب، وإلى أي جهة تقصد؟ لازم باب مولاك، فلعل وعسى يثمر عَودك[١].

٤٥- معاشر التائبين: تعالوا نبكي على الذنوب فهذا مأتم الأحزان، تعالوا نسكب المدامع. ونشتكي الهجران، لعل زمان الوصال يعود كما كان.

هذا بياض الشيب ينذر بخراب الأوطان، يا من تخلف حتى شاب، وقد رحلت الأظعان.

يا تائها في تيه التخلف، يا حائرا في بريّة الحرمان، نهارك في الأسباب، وليلك في الرقاد، هذه الخسارة عيان، إذا ولى الشباب ولم يربح، ففي المشيب يكون الخسران، أمَلْك طويل بعيد، وربما هيئت لك الأكفان.

قف على ساحل التوبة، فبحار المعاصي طوفان، ضيعت ربيع الشباب حتى ذبُل من معاصي الرحمن، فعند إقبال المشيب، ندمت على ما قد كان. إن لم يشاهدك رفيق التوفيق، وإلا ففي الحرمان حرمان. وقد يرحم المولى من ضَعُف عن الأسباب ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩][٢].

٤٦- يا تائها في الضلال بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك منادي الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد؟ قل لي: متى تتيقّظ وماضي الشباب لا يُعاد، ويحك! كيف تُقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولا زاد. ستندم إذ حان الرحيل، وأمسيت مريضا تُقاد، ومنعت التصرف فيما جمعت، وقَطَّعت الحسرات منك الأكباد، فجاءتك

---

(١) «بحر الدموع» (ص٧٠).

(٢) «بحر الدموع» (ص٨٨).

السكرات ومنع عنك العُوّاد، وكُفنت في أخصر الثياب، وحُملت على الأعواد، وأُودعت في ضيق لحد وغُربة ما لها من نفاذ، تغدو عليك الحسرات وتروح إلى يوم التناد، ثم بعده أهوال كثيرة، فيا ليتك لمعاينتها لا تعاد.

فاغتنموا بضائع الطاعات، فبضائع المعاصي خاسرة ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة:٢٠-٢١](١).

٤٧- فانظر أخي حال الدنيا، وكيف يحوّل، ونعيمها وكيف يذهب ويزول، فالمغرور -والله- من اغترّ بها، والمسعود من رأى عيبها وفرّ منها والمصائب في الدنيا أعداد: فواحد يصاب في الأموال والأولاد، والآخر يُعَرَّى من الإسلام بالطرد والإبعاد(٢).

٤٨- يا أخي، لا يبيع الباقي بالفاني إلا خاسر، وإياك والأنس بمن ترحل عنه، فتبقى كالحائر، رفيق التقوى رفيق صادق، ورفيق المعاصي غادر، مهر الآخرة يسير، قلب مخلص، ولسان ذاكر، إذا شبت ولم تنتبه، فاعلم أنك سائر، فديت أهل التهجد بلسان باك وجفن ساهر، كم لهم على باب تتجافي جنوبهم من تملق ودمع قاطر، إذا تنسّموا نسيم السحر أغناهم عن نسيم العذيب وحناجر، عصفت بهم رواشق الاستغفار البواكر، عمروا منازل الخدمة، ومنزل الغفلة خراب داثر(٣).

٤٩- كان بعض الأغنياء كثير الشكر فطال عليه المد، فبطر وعصى، فما

---

(١) «بحر الدموع» (ص٩٤).

(٢) «بحر الدموع» (ص٩٦).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٠٦).

زالت نعمته ولا تغيّرت حالته، فقال: يا رب، تغيّرت طاعتي، وما تغيّرت نعمتي، فهتف به هاتف يقول: يا هذا: إن لأيام الوصال عندنا حرمة وذماما، حفظناها نحن لك، وضيّعتها أنت لنا.

وأنشدوا:

سأترك ما بيني وبينك واقفا ... فإن عدت عدنا والوداد سليم

تواصل قوما لا وفاء بعهدهم ... وتترك مثلي والحفاظ قديم[١]

٥٠- يا من سوّف بالمتاب حتى شاب، يا من ضيّع في الغفلة أيام الشباب، يا مطرودا بذنوبه عن الباب، إذا كنت في الشباب غافلا، وفي المشيب مسوّفا، متى تقف بالباب؟ كم عوملت على الوفاء؟ ما هكذا فعل الأحباب، الظاهر منك عامر، والباطن -ويحك- خراب، كم عصيان كم مخالفة، كم رياء، كم حجاب؟ ولّى طيب العمر في الخطايا، يا ترى تعود إلى الصواب؟[٢]

٥١- يا من سوّف بالمتاب حتى شاب، يا من ضيّع في الغفلة أيام الشباب، يا مطرودا بذنوبه عن الباب، إذا كنت في الشباب غافلا، وفي المشيب مسوّفا، متى تقف بالباب؟ كم عوملت على الوفاء؟ ما هكذا فعل الأحباب، الظاهر منك عامر، والباطن -ويحك- خراب، كم عصيان كم مخالفة، كم رياء، كم حجاب؟ ولّى طيب العمر في الخطايا، يا ترى تعود إلى الصواب؟[٣]

٥٢- يا أخي، أفنيت عمرك في اللعب، وغيرك فاز بالمقصود وأنت منه بعيد،

---

(١) «بحر الدموع» (ص١١١).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٢٥).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٢٥).

غيرك على الجادّة، وأنت من الشهوات في أوجال وتنكيد، ترى متى يقال: فلان استقال ورجع. يا له من وقت سعيد، متى تخرج من الهوى وترجع إلى مولاك العزيز الحميد، يا مسكين، لو عاينت قلق التائبين، وتململُ الخائفين من هول الوعيد، جعلوا قرّة أعينهم في الصلاة، والزكاة، والتزهيد، وأهل الحرمان ضيعوا الشباب في الغفلة، والشيب في الحرص والأمل المديد، لا بالشباب انتفعت، ولا عند المشيب ارتجعت، يا ضيعة الشباب والمشيب: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ [سبأ:٥١][1].

٥٣- فمن حفظ لسانه لأجل الله تعالى في الدنيا، أطلق الله لسانه بالشهادة عند الموت ولقاء الله تعالى. ومن سرّح لسانه في أعراض المسلمين، واتبع عوراتهم أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت[2].

٥٤- واعلم أن التجسس عن عيوب الناس، وتطلب مساوئهم، يبدي العورات، ويكشف المخبّآت.

وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

فاتق الله، واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس، ولا تكن كمثل الذباب الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد، ولا ينزل عليها، وإنما يقع على القروح فيدميها.

فمن بحث عن مساوئ الناس واتبع عوراتهم، واشتغل بعيب غيره، وترك

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٣٣).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٥١).

عيبه، سلط الله تعالى عليه من يبحث في عيبه ومساوئه ليشهّرها، ويتبع عورته ويبديها وينشرها.

فالعاقل السعيد من نظر في عيبه، وشغل بذلك عن عيوب غيره، وعن كل شيء سوى الله تعالى[١].

٥٥- اعلم رحمك الله، أن النميمة تفسد الدين والدنيا، وتغيّر القلوب، وتولّد البغضاء، وسفك الدماء والشتات. قال الله العظيم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم:١٠-١٣].

وسئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال: «**أن تذكر أخاك بما هو فيه غائب عنك، وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته**» أي: فذلك البهتان[٢].

٥٦- الغيبة لا تقتصر على اللسان، بل كل ما يُفهم منه عرض يكرهه المذكور فيه إن بلغه أو سمعه، باليد، أو بالرجل، أو بالإشارة، أو بالحركة، أو بالتعرّيض أو بالمحاكاة، فهي غيبة.

وقد عظم الله تعالى أمر الغيبة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾ [الحجرات:١٢]. وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة:١].

فقيل معناه الطاعن في الناس، الذي يأكل لحوم الناس[٣].

٥٧- إيّاك يا أخي، والعُجب، فإنه مذموم كيف كان: بالنفس أو بالفعل أو

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٥٣).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٥٧).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٦٣).

بالقول، ولا تغترّ بفعلك ولا بقولك، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم:٣٢].

وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**».

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الهلاك في اثنتين القنوط والعُجب.

وإنما جمع بينهما، لأن القانط لا يطلب السعادة لقنوطه، والمعجَب لا يطلبها لظنه أنه ظفر بها[١].

٥٨- ومن لم يجتنب الحرام من الطعام، أفطر بعد طول الصيام على مرارة حرارة ثمرة الزقوم، فيا له من طعام، ما أعظم ضرره، يُفَتِّت الفؤاد، ويقطع الأكباد، ويمزق الأجساد، ويورث الأنكاد في الميعاد.

وقال سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه: كنت أقرأ الآية فيفتح لي فيها سبعون بابًا من العلم، فلما أكلت مال هؤلاء الأمراء، صرت أقرأ الآية فلم يفتح لي فيها باب واحد.

فالحرام من القوت نار تذيب شحمة الفكر، وتذهب لذة حلاوة الذكر، وتحرّق ثياب إخلاص النيّات، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة وظلام السريرة.

فاكتسب مالًا حلالًا، وأنفِقْه في قصد، واجتنب الحرام وأهله، ولا تجالسهم، ولا تأكل طعامهم، ولا تصحب من كسبه من الحرام، إن كنت صادقًا في ورعك، ولا تدلّن أحدًا على الحرام فيأكله هو وتحاسب أنت عليه، ولا تُعنه

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٦٩).

أيضًا على طلبه، فإن المعين شريك.

واعلم أنه إنما تقبل الأعمال من آكل الحلال[١].

٥٩- وأما الخيانة في الوزن والكيل، فاجتنب ذلك يا أخي ما استطعت، فإن الله تعالى قد أمرك بالعهد فيهما في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [هود:٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين:١-٣].

وإيّاك يا أخي أن تغتبط بشيء من حقوق المسلمين، فإن البركة لا تكون مع الخيانة، وإن قليلًا من الحرام يتلف كثيرًا من الحلال[٢].

٦٠- فإني تفكرت في سبب إعراض عامة الناس عن ذكر الآخرة، فوجدته من قلة الفهم، ورأيت أحد العوام يشغل ولده حين ينشأ بالمعاش، ولا يعلمه واجبات العبادة ولا لوازم المعاملات، فيتقلب الولد في طلب الدنيا، ولا يعلم أخبار الأخرى، لا يعرف فرضًا من الفرائض، ولا يَرد لجامه عن الهوى ألف رائض، فإن أفلح وحضر مجلسًا من مجالس القصاص، فربما سمع منهم أحاديث الرخص الباطلة، فيخرج مصرًّا على الذنوب، ويقول: «ربي كريم».

وربما أسمعوه أخبار الزهاد؛ كمعروف، وبشر، والجنيد في زهدهم، وهو بعدُ لم يعرف الواجبات، ولا تعلق من ذلك بطائل، فإن علق بشيء علق بما

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٧٩).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٨٠).

الجهل أحسن منه، وهو أنه يفهم من كلامهم أن المقصود ترك الدنيا، ولا يُعرِّفونه ما المتروك بينها، فينفرد في زاوية، ويُخلي معاشه، ويُضيع عائلته، ولا يستفيد في تلك الزاوية إلا ما تستفيده البهيمة من حبسها في الإسطبل، لأنه خلا بجهله ولا علم معه.

وربما تهيأ لتسليم الناس عليه، والتبرك به لموضع انفراده، وربما تخشع كأنه قد خرج من معاينة بخبر عن مشاهدة.

وربما هام في البوادي سائحًا، فضيَّع الفروض وترك العيال. فعلمت أن أصل هذه الآفات الجهل بالعلم.

وما أزال أحرِّضُ الناس على العلم، لأنه النور الذي يهتدى به.

إلا أني رأيت النساء أحوج إلى التنبيه من هذه الرفدة من الرجال؛ لبعدهن عن العلم، وغلبة الهوى عليهن بالطبع، فإن الصبية في الغالب تنشأ في مخدعها؛ لا تُلقن القرآن، ولا تَعْرف الطهارة من الحيض، ولا تُعَلَّم -أيضًا- أركان الصلاة، ولا تُحدث قبل التزويج بحقوق الزوج، وربما رأت أمها تؤخر الغسل من الحيض إلى حين غسل الثياب، وتدخل الحمام بغير مئزر، وتقول ما معي إلا أختي وابنتي، وتأخذ من مال الزوج بغير إذنه، وتَسْحره، تدَّعي جواز ذلك لتعطفه عليها، وتُصلي مع القدرة على القيام قاعدة، وتحتال في إفساد الحمل إذا حبلت، إلى غير ذلك من الآفات التي سنذكر منها ما يدل مذكورهُ على مُغْفَله إن شاء الله تعالى.

فإن أفلحت وحضرت مجلس القُصَّاص، كان أردأ لها وأضر عليها من جهة التبرج، وافتتان الناس بها، وافتتانها برؤية الأحداث، وتارة من جهة

القاص؛ فإن القُصَّاص اليوم يُعطون مكان الترياق سُمًّا، ويُنشدون أشعار العشق والغزل، فإن صادف ذلك قلبًا فارغًا تمكن منه وعسر زواله، ولا يتعرضون بتعريف الواجبات، ولا بالزجر عن المنهيات، وربما رأت الرجال يصيحون متواجدين؛ فصاحت إلى غير ذلك مما قد شرحته في «كتاب القصاص»[١].

٦١- الختان واجب في حق الرجل والمرأة.

ومن أدب الخاتنة للمرأة:

ما رواه أبو داود في «سننه» من حديث أم عطية الأنصارية: أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبي ﷺ: «**لا تُنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل**»[٢].

وقال أبو عثمان البصري: أصل الختان: للنساء، لم يُحاول به الحُسن دون التماس نقصان الشهوة، ليكون العفاف مقصورًا عليهن.

فالذي أراد رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تنهكي**» أن ينقص من شهوة المرأة بقدر ما يردها إلى الاعتدال، فإن شهوتها إذا قلَّت ذهب التمتع، ونَقَص حب الأزواج، ومعلوم أن حُب الأزواج قيد دون الفجور.

وقد كان بعض الأشراف يقول للخاتنة: «لا تتعرضي إلا لما يظهر فقط».

وأكثر العفائف موعبات، وإنما صار الزنا وطلب الرجال في نساء الهند والروم أعم، لأن شهوتهن للرجل أشد، وليس لذلك علة إلا وفارة القُلفَة، ولما

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١١٧-١٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٧١).

تعمق أهل الهند في توفير حظ الباه مَنعوا من الختان[١].

٦٢- وأما الحرة إذا ملكت عبدًا؛ فإنه ليس بمحرم لها.

ولا يجوز أن: يرى منها ما يراه المحارم، ولا يخلو بها، ولا يسافر معها.

ويكره للرجال الأجانب سماع أصوات النساء، إلا بمقدار ما تدعو إليه الحاجة، لأنه يحصل بذلك الافتتان، فينبغي للمرأة أن تتوقى ذلك[٢].

٦٣- قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«العواتق»: جمع عاتق، وهي (المُدركة).

قالت جارية من العرب لأبيها: «اشتر لي لُوطًا أُغطي به فُرْعُلي، فإني قد عَتَقْت».

«اللوط»: (الرداء).

و«الفُرْعُل»: (الشعر).

و«عتقت»: (أدركت).

يُقال للمرأة حين تدرك: (عاتق)[٣].

٦٤- ينبغي للمرأة أن تحذر من الخروج مهما أمكنها، فإنها إن سَلمت في نفسها لم يَسلم الناس منها.

فإذا اضطرت إلى الخروج:

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١٣٩-١٤١).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١٨١).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢١٣).

خَرَجت بإذن زوجها في هيئة رثة، وجَعَلت طريقها في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، واحتَرَزَتْ من سماع صوتها، ومشت في جانب الطريق لا في وسطه[١].

٦٥- ويكره للمرأة أن تطالع من الخَوْخَات، لأنها ترى الرجال ولا يُؤمنُ أن تتأذى برُؤيتهم كما يتأذون برؤيتها.

ومن المنكرات:

اطلاع النساء على الشباب إذا اجتمعوا في الدعوات؛ لأنه لا يُؤمن الفتنة[٢].

٦٦- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن طيب الرجال ريح لا لون له، وإن طيب النساء لون لا ريح**».

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: وإنما جعل طيبهن ما لا ريح له؛ لئلا يُنمَّ عليهن خصوصًا إذا خَرجَتِ المرأة من بيتها، وقد مُنعت المرأة مما يُنِمُّ عليها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

قيل: هو الخُلخَال.

قال ابن عقيل: ويقاس على هذا تحريم الصَّرير في المداس[٣].

٦٧- قد يُشكل هذا على من لا يعرفه، فيقول: إن الرجل إذا رأى المرأة

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢١٧).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٢٣).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٢٩).

خيف عليه أن يُفتتن، فما حال المرأة؟

فالجواب: إن النساء شقائق الرجال فكما أن المرأة تُعجب الرجل، فكذلك الرجل يُعجب المرأة، وتشتهيه كما يشتهيها، ولهذا تَنفر من الشيخ، كما ينفر الرجل من العجوز[١].

٦٨- وأما الصلوات التي يذكرها القُصَّاص من صلاة ليلة الفطر، وليلة النحر، وليلة الرغائب، وليلة النصف من شعبان فلا صحة لها، فلذلك تنكبنا عن ذكرها[٢].

٦٩- ينبغي للمرأة أن تجتهد في حفظ ما يمكن، فإنه قد رُوي أن عددَ درج الجنة بعددِ آي القرآن، يُقال للقارئ: «**اقرأ وارق، فمنزلك عند آخر آية تقرؤها**»[٣].

وقد كان جماعة من النساء يحفظن جميع القرآن، وقد رأينا في زماننا جماعة منهن، فينبغي لمن لها همة أن تُؤثرَ هذه الفضيلة التي ليس لها مثيل[٤].

٧٠- ينبغي للمتصدق أن يتخير الأجود كسبًا، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ**﴾ [البقرة:٢٦٧].

وقول النبي ﷺ: «**لا يقبل الله صدقة من غلول**»[٥].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٣٠).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٣٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٧٩٩)، وأبو داود في «السنن» (١٤٦٤).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٣٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٧ و٣٩٠)، ومسلم (١/ ٢٠٤)، والترمذي(١)، وابن ماجة (٢٧٢).

ثم يتخير الأجود في نفسه، ثم يؤثر بالمحبوب، فقد قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران:٩٢].

وكان السلف إذا أحبوا شيئًا قدموه لله ﷻ:

فقال ابن عمر يومًا: اللهم إنه لا أحب إليَّ من جاريتي رُمَيثة وهي حرة لوجه الله تعالى.

وركب نجيبًا، فأعجبه مشيه فأناخه، وقال: يا نافع، أشْعِره وأدخله في البُدن[(١)].

وكان الربيع بن خُثَيم يتصدق بالسكر، ويقول: «إن الربيع يحب السكر»[(٢)(٣)].

٧١- (اغتنام فرحة الفقير بإعطائه الجيد)

كان كثير من السلف لا يقتنعون بنفس ما يُغنى الفقير، بل يعطونه فوق ما يُؤمل، لينالوا ثواب فرحته:

فرُوِّينا عن ابن المبارك: أنه رأى امرأة فقيرة قد أخذت بطة ميتة، فسألها عن ذلك، فقالت: لنا أيام ما أكلنا، فأعطاها نحوًا من ألف دينار.

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: (كان أبو عبد الله محمد بن العباس العُصْمي نبيلًا من ذوي الأقدار العالية، وله أفضال على الصالحين والفقهاء، وبلغني أنه كان يُضرب له دنانير، كل دينار

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٠٠٩).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٦٣-٢٦٤).

منها مثقال ونصف، وأكثر من ذلك، فيتصدق بها، ويقول: إن الفقير إذا ناولته كاغدًا، فيتوهم أن فيه فضة، ثم يفتحه فيفرح إذا رأى صفرة الدنانير، ثم يَزِنُه فيفرح إذا زاد على المثقال)[١].

٧٢- وينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال، كما يُؤمر الرجال بالغض عنها.

وقد اختلفت الرواية عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، فيما يجوز للمرأة أن ترى من الرجل الأجنبي:

فرُوي عنه: أنه يجوز لها أن ترى منه ما ليس بعورة.

ورُوِي عنه: أنه يَحرم عليها أن تنظر منه ما يَحْرُم عليه أن ينظر منها.

واعلم أن أصل العشق إطلاق البصر، فكما يُخاف على الرجل من ذلك يُخاف على المرأة، وقد ذهب دين خلق كثير من المتعبدين بإطلاق البصر وما جَلَبه، فليُحذر من ذلك[٢].

٧٣- وحد الساحر: ضربه بالسيف.

قال أحمد: يقتل من غير استتابة، وعلل أصحابنا: بأنه في الغالب يكتم سحره.

فإن أقر بقتل مُعين، قُتل حَدًا، وإصلاحًا للإسلام، وكانت الدية في ماله للمقتول؛ ليجمع بين المصلحة الكلية وحق أولياء المقتول.

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٦٨).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٩٣).

وإذا كان الساحر ذميًا، وكان سحره يضر المسلمين، قُتل لنقض العهد[١].

٧٤- وفي معنى الكاهن المنجم، فإنه يَدَّعي علم الغيب أيضًا، وقد صار أكثر أهل زماننا لا يسافرون ولا يلبسون ثوبًا ولا يعملون عملًا إلا بقول المنجم.

واعلم أن علم النجوم على ضربين:

أحدهما مباح، وتعلمه فضيلة، وهو العلم بأسماء الكواكب ومطالعها ومساقطها، وسيرها في منازلها، والاهتداء بها إلى القبلة وغيرها من الطرق.

والثاني: محظور:

وهو ما يدعيه المنجمون من الأحكام.

وقد روى علي بن أبي طالب، قال: قال النبي ﷺ: «**يا علي لا تجالس أصحاب النجوم**»[٢].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ نهى عن النظر في النجوم[٣][٤].

٧٥- إذا زنت المرأة وجب عليها أن تتوب مما فعلت وتتعلَّل على زوجها، فتمتنع من أن يقربها إلى أن تستبرئ نفسها، وإن علم وجب عليه أن يكف عنها حتى يستبرئها.

وقد اختلفت الرواية عن أحمد في عدة المزنى بها:

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٩٨).

(٢) أخرجه عبد الله في «زياداته على المسند» (٥٨٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٨٢).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٠٠).

والمشهور: أن عدتها عدة المطلقة. وحكى أبو علي بن أبي موسى رواية أخرى: أنها تستبرئ بحيضة.

قال أحمد بن حنبل: من فجر بامرأة ذات بعل ولم يكن الزوج قد اطلع على ذلك، فلا تُعلم زوجها، بل تستر على نفسها وتتوب وتستغفر، ولْتهب صداقها لزوجها[١].

٧٦- عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها حتى كأنه ينظر إليها**»[٢].

واعلم أنه إنما نُهى عن هذا؛ لأن الرجل إذا سمع وصف المرأة تحرَّكت همته واشتغل قلبه، والنفس مُولعة بطلب الموصوف بالحسن، فربما كانت الصفة داعية إلى تطلب الموصوف، ورُبما وقع من اللهج بالطلب لذلك ما يُقارب العشق[٣].

٧٧- أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا محمد بن علي بن ميمون، قال: أخبرنا علي بن الحسن، قال: أخبرنا عبد الله بن إبراهيم الزَّبيبي، قال: حدثنا ابن ناجية، قال: حدثنا محمد بن عمرو بن حَنان، قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال: حدثنا بَحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المرأة المؤمنة كالغُراب الأعصم في الغربان، وإن النار خُلِقت للسفهاء، وإن النساء من السفهاء إلا صاحبة القِسط والسِّراج**»[٤].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٠٧-٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٢٤٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣١٧).

(٤) أخرجه عبد بن حميد في «المسند» (١٥٢٨).

قال المصنف:

قلت: أَمَّا الغراب الأَعْصَمُ، فَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الأَبْيَضُ اليدين، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْوُعُولِ: «عُصْمٌ» لِبَيَاضِ أَيدِيهَا. قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الأَبْيَضُ الجَنَاحَيْنِ، قَالَهُ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ.

وَأَمَّا القِسْطُ:

فَقَالَ الخَطَّابِيُّ: «المُرَادُ بِهِ الإِنَاءُ الَّذِي تُوضئه فِيهِ». قَالَ: «وَالقِسْطُ نِصْفُ صَاعٍ».

وَأَمَّا السِّرَاج:

فَقَالَ بَقية بْنُ الوَلِيدِ: «هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى رَأْسِ زَوْجِهَا بِالسِّرَاج تُوضِئُهُ بِالمَاءِ»[1].

٧٨- الباب الحادي والستون في: تحذير المرأة من مجالس القصاص وما يجلب من المحن، وأخدان السوء، ومؤاخاة الرجال للنساء، ومصافحتهن، وغير ذلك من المنكرات.

أما أفعالهن الظاهرة القبح فكثيرة.

ولهن مقابح يحتقرنها، وهي عظائم؛ كالصرير في الخف، والخروج بغير إذن الزوج، وسوء المعاشرة، والسرقة من ماله، والتدليس في القطن بدق الخشن منه ليتوهم أنه ناعم وتنديته، والخروج إلى المقابر.

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٣١-٣٣٢).

فإذا أفلحن وتركن ذلك، حضرن أوقات الصوفية المتضمنة للغناء، والطرب، والرقص، واللعب، وتخريق الثياب على الوجد، وتفريقها بعد تخريقها، والنظر إلى الشباب، وغير ذلك من الأسباب المفسدة لقلوبهن على أزواجهن، المغيرة لدينهن.

فإن حضرن مجالس القصاص؛ فأكثرها يجري فيها المنكر؛ من إنشاد القاص أشعار العشق والغزل، وتلحين القراء القرآن، ونحو ذلك مما يوجب الطرب، ويثبت في القلب الهوى، وربما أنشدوا الأشعار الواصفة للبِلى وأحوال الموتى، فَيُهَيِّجون قلوب السامعين، ويُخرجونهم من الصبر إلى الجزع، وكل ذلك من القبائح المفسدة.

وربما قالت امرأة: أنا ألبس قميصًا من يد الواعظ وأصير بنتًا له.

وبلغنا أن قومًا من المتزهدين يؤاخون النساء ويخلون بهن ويصافحوهن، وقد صح عن رسول الله ﷺ: أنه ما صافح امرأة أجنبية[(١)].

وكل هذا مخرج إلى الفساد والقبيح[(٢)].

٧٩- ولا ينبغي لوالدَي المرأة ولا لجميع أهلها أن يطلبوا منها الميل إلى إيثارهم أكثر من ميلها إلى زوجها، فإنها تميل إلى زوجها بالطبع، وقد أخبر عنها بذلك الشارع، فلتعذر في ذلك[(٣)].

٨٠- وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج، فلا تتصرف في نفسها

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٣٤-٣٣٥).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٤٥).

ولا في ماله إلا بإذنه، وتُقدم حقه على حق نفسها وحقوق أقاربها، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة.

ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبيح إن كان فيه.

قال الأصمعي: دخلتُ البادية، فإذا امرأة حسناء لها رجل قبيح.

فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟! فقالت: لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، ولعلي أسأت فجعله عقوبتي.

وينبغي للمرأة أن تصبر على أذى الزوج كما يصبر المملوك.

وقد رُوِّينا أن عبد الملك بن مروان وُصفت له جارية اجتمعتْ فيها مناقب؛ فلما حضرت سألها عن حالها، فقالت: إني لا أنسى نفسي أني لكَ مملوكة، فقال: هذه المنقبة تساوي جميع الثمن[١].

٨١- ينبغي للمرأة العاقلة إذا وجدت رجلًا صالحًا يلائمها، أن تجتهد في مرضاته، وتجتنب كل ما يؤذيه، فإنها متى ما آذته، أو تعرضت بما يكرهه، أو بموجب ملالته لها؛ بقي ذلك في نفسه.

فربما وجد فرصة فتركها، أو آثر غيرها، فإنه قد يجد وقد لا تجد هيَ، ومعلوم أن الملل للمُستحسن قد يقع، فكيف للمكروه؟![٢].

٨٢- وقد تخرج الغيرة بالمرأة إلى معصية الزوج، فيجب على المؤمنة أن تحمل نفسها على الصبر إذا كان لها ضرة[٣].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٥٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٦٩).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٨٢).

٨٣- إذا نشزت المرأة على الرجل، أو خالفته فيما هو حق له، فليتأدب بأدب الله عَزَّوَجَلَّ، وهو: أن يعظها، فإن أصرت على الخلاف هجرها في المضجع، فإن أصرت ضربها ضربًا غير مُبَرِّح، سوطًا، أو سوطين أو يزيد عددًا قليلًا.

ولْيعلم الإنسان أن من لا ينفع فيه الوعيد والتهديد لا يردعه السوط، وربما كان اللُّطف أنجح من الضرب، فإن الضرب يزيد قلب المعرض إعراضًا[١].

٨٤- [الباب التاسع والستون في: ذكر ما يحل لها تناوله من ماله]

اعلم أن فصل الخطاب في هذا الباب:

أنه متى كان الرجل يفرض للمرأة ما يجب عليه لها من النفقة؛ لم يجز لها أن تأخذ من ماله شيئًا -إلا عن أمره- إلا أن تعلم أنه إذا اطلع على ذلك لم يكرهه.

وكذلك: إن تصدقت بما تعلم أنه يأذن فيه جاز، فأما إذا علمت أنه يكره ذلك لم يجز لها، وإنما يجوز أن تأخذ مقدار نفقتها بالعدل، إذا كان يمنعها ذلك[٢].

٨٥- [الباب الحادي والسبعون في: ذكر ما تتصنع به المرأة من قشر الوجه والوشم وغير ذلك]. ثم ذكر الأحاديث في ذلك، وذكر غريبها، ثم قال:

وظاهر هذه الأحاديث تحريم هذه الأشياء التي قد نُهي عنها على كل حال، وقد أخذ بإطلاق ذلك ابن مسعود على ما رُوِّينا.

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٨٤).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٩٠).

ويُحتمل أن يُحمل ذلك على أحد ثلاثة أشياء:

إما أن يكون ذلك قد كان شعار الفاجرات، فيكن المقصودات به.

أو أن يكون مفعولًا للتدليس على الرجل، فهذا لا يجوز.

أو أن يكون يتضمن تغيير خلق الله تعالى: كالوشم الذي يؤذي اليد ويُؤلمها، ولا يكاد يُستحسن، ورُبَّما أثر القَشر في الجلد تحسنًا في العاجل، ثم يتأذى به الجلد فيما بعده.

وأما الأدوية التي تزيل الكَلَف وتُحسِّن الوجه للزوج، فلا أرى بها بأسًا، وكذلك أخذ الشعر من الوجه للتحسن للزوج، ويكون حديث النامصة محمولًا على أحد الوجهين الأولين[١].

٨٦- وقد روي عن عامر بن الظَّرب -وكان من حكماء العرب-، أنه قال لامرأته: مري ابنتك تكثر استعمال الماء، فلا طِيب أطيب من الماء، ولا تُكثر مضاجعة زوجها، فإن الجسد إذا ملّ ملّ القلب، ولْتُخَبِّئ سوءتها منه.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: وهذا عين الصواب، فإن الفرج غير مستحسن الصورة من الزوجين، فالاطلاع على بعض العيوب يقدح في المحبة، فينبغي لهما جميعًا الحذر من ذلك، ولهذا ترى الأكابر ينامون منفردين، لعلمهم أن النوم يتجدد فيه ما لا يصلح[٢].

٨٧- [الباب التاسع والثمانون في: إثم المرأة إذا تعمدت الإسقاط]

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٠٠).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤١٥).

لما كان موضوع النكاح لطلب الولد، وليس من كلِّ الماء يكون الولد، فإذا تكَّون فقد حصل المقصود من النكاح، فَتَعَمُّدُ إسقاطه مخالف لمراد الحكمة، إلا أنه إن كان ذلك في أول الحمل، قبل نفخ الروح كان فيه إثم كبير، لأنه مُتَرقّ إلى الكمال، وسارٍ إلى التمام، إلا أنه أقل إثمًا من الذي نُفخ فيه الروح.

فإذا تعمدت إسقاط ما فيه الروح كان كقتل مؤمن، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير:٨-٩] والموءودة: البنت كانوا يدفنونها حيَّة، فهي تُسأل يوم القيامة لتُبكِّت قاتلها[١].

٨٨- [الباب التسعون في: ذكر كفارة الإسقاط]

إذا تعمدت المرأة الإسقاط بشرب دواء يسقط، فإن كان الحمل لم يبلغ المدة التي ينفخ فيها الروح؛ فلا دية في ذلك، إنما عليها الإثم فحسب؛ هذا في أحد الوجهين لأصحابنا. والوجه الثاني: أنها إن ألقته مضغة وشهد القوابل أنه خلق آدمي، فعليها الغرة.

قال الخرقي: وإذا شربت الحامل دواء فأسقطت جنينها فعليها غرة لا ترث منها شيئًا، وتُعتق رقبة.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: وإن كان قد نفخ فيه الروح فوقع؛ فعليها غرة عبد أو أمة، قيمتها نصف عشر دية أبيه، أو عشر دية الأم، تُدفع إلى ورثته، ولا ترث الأم منها شيئًا.

وتجب عليها الكفارة بعد هذا وهي عتق رقبة.

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٤٩).

فإن لم تجد؛ صامت شهرين متتابعين.

فإن لم تستطع فهل يجب أن تطعم أم لا؟ على روايتين، فإن قلنا تطعم؛ أطعمت ستين مسكينًا[١].

٨٩- عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**أنا وامرأة سفعاء الخدين امرأة أَيِّمَت من زوجها، فصبرت على ولدها كهاتين في الجنة**»[٢].

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت: ومعنى قوله: «**سفعاء الخدين**»: أن تركها للأزواج أعرض بها عن التصنع فقد صار في خديها كُمُودة[٣].

٩٠- كانت أم كلثوم -يعني بنت عقبة بن أبي مُعيط- عاتقًا، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة فقتل عنها، فتزوجها الزبير، فولدت له زينب، ثم تزوجها عبدالرحمن بن عوف، فولدت له إبراهيم وحُميدًا، ثم تزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده[٤].

٩١- الهمة في القلب كجوهر المُهر، يُحرِّكه الرائض إذا كان عربيًا جيد الأصل، فيُخرجُ ما فيه من الجوهرية، وإذا لم يكن همة كان مَثَلُه كمثل الكَوْدن لا ينفعه الرائض[٥].

٩٢- لَوْلَا الْخَالِق لم يكن الْمَخْلُوق شَيْئًا مَذْكُورًا، وَلَوْلَا الرازق لم يملك

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٠٠٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤١)، وأبو داود (٥١٤٩).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٩٩-٥٠٠).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٦٦).

(٥) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦١٧).

المرزوق فَتِيلًا وَلَا نَقِيرًا، كم من نِعْمَة قد أَنْعَمَ الله بهَا علينا، وَكم من حَسَنَة قد سَاقهَا الله إِلَيْنَا: عَافَانَا فِي أَدْيَانِنَا من الْكُفْر، وَفِي أَبْدَانِنَا من الضُّرِّ، وَأَخْرَجَنَا من أَصْلَابِ آبَائِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَنْشَأَنَا بَيْنَ إِخْوَانٍ مُؤْمِنِينَ، وَجَعَلَ لِسَانَنَا الَّذِي نَتَكَلَّمُ بِهِ من أَفْصَحِ الْأَلْسِنَةِ لَهْجَةً، وَطَرِيقَنَا الَّذِي نَسْلُكُ بِهِ إِلَيْهِ من أَوْضَحِ الطُّرُقِ مَحَجَّةً.

فَبِأَيِّ شُكْرٍ نُقَابِلُ نِعْمَةً عَلَيْنَا، وَبِأَيِّ جَزَاءٍ نُكَافِئُ إِحْسَانَهُ إِلَيْنَا.

سُبْحَانَهُ، سُبْحَانَهُ.

مَا قَامَ أَحَدٌ من خَلْقِهِ بِحَقِيقَةِ شُكْرِهِ، وَلَا أَثْنَى عَلَيْهِ مُثْنٍ من عِبَادِهِ كَمَا أَثْنَى هُوَ نَفْسَهُ، وَلَا قَدَّرَهُ مَخْلُوقٌ حَقَّ قَدْرِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى الْمعْرِفَةِ بِهِ، وَهِيَ بَحْرٌ مَا بَلَغَ أَحَدٌ إِلَى قَعْرِهِ.

سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ.

مَا أَسْبَغَ أَنْعُمَهُ وَأَعْدَلَ أَحْكَامَهُ[1].

٩٣- يَنْبَغِي للْعَبد الْمُؤمن بربه إِذا نظر إِلَى زهرَة الدُّنْيَا، فدعتهُ إِلَى نَفسهَا برونقها البهيج، أَن يَقُول لَهَا بِلِسَان الْحَال: إِلَيْك عني يَا سريعة الزَّوَال! إِنَّمَا تصلحين للتشويق إِلَى دَار لَيْسَ لساكنها عَنْهَا انْتِقَال، أَنْت خزف فان، وَتلك جَوْهَر بَاقٍ، فلتفرق بَين الدَّارَيْنِ عقول الرِّجَال[2].

٩٤- أربعة أعمال قطعت أعناق الرِّجَال:

أولها: الْكفْر! وَهُوَ قِسْمَانِ:

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٣).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤).

كفر الشَّك: كفر فِرْعَوْن حِين قَالَ: ﴿لَعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص:٣٨].

وَكفر السخط: كفر إبليس، حِين قَالَ ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء:٦٢] وَجَمِيع أقسام الْكفْر مُشْتَقَّة من هذَيْن الْقسمَيْنِ.

وَكفر السخط بليته أعظم البليتين، لأن الشاك قد يُؤمن إذا اتَّضح الْيَقِين وأما الساخط فعلى بَصِيرَة كفر بِرَبّ الْعَالمين.

ثَانِيهَا: الْبِدْعَة! وَهِي قِسْمَانِ:

مكفرة، ومضللة. فَمن سلم مِنْهُمَا فقد سلم لَهُ إسلامه وهداه، وَمن ابتلي بِإِحْدَاهُمَا فقد حاد عَن طَرِيق الإسلام أو تاه عَن سَبِيل النجَاة.

ثَالِثهَا: الْغَفْلَة عَن ذكر الله!

فَإِن الْمعْصِيَة إلى الغافل أسرع من انحدار الصَّخْرَة إلى الْمَكَان السافل.

وَرَابِعهَا: حب الدُّنْيَا! فإن مثل الْمُحب لَهَا وَلَو كابد الْعِبَادَة كَمثلِ ناشر الأرز يرفع رِجْلًا وَيَضَع أخرى وَمن مَكَانَهُ لَا يبرح.

وَكَذَلِكَ الَّذِي شغل بحب الدُّنْيَا قلبه، وبالعبادة جوارحه، ترَاهُ طول عمره يتَقَرَّب إلى الله بظواهره، وَيبعد عَنهُ بِقَلْبِه.

أنت الأمير على الدُّنْيَا بزهدك ... فِي حطامها وَطَرِيق الْحق مسلوك

وأنت عبد لَهَا مَا دمت تعشقها ... إن الْمُحب لمن يهواه مَمْلُوك[1]

٩٥- لَو أن بِنَا حَيَاة لأحسسنا بِمَا نَحن فِيهِ من جهد الْبلَاء.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٣٧).

وَلَو أحسسنا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من الدُّعَاء، وقرحت أجفاننا من الْبكاء، وَلَكنَّا طردنا فَمَا أحدٌ على نَفسه حَزِينًا، وَنِمْنَا ملْء عيوننا، وضحكنا ملْء أفواهنا، كَأَن لم يَأْكُل الْكَلْب لنا عجينًا.

وَكَأن من الْوَاجِب على قوم حرمُوا لَذَّة مناجاة الله، وطردوا عَن مجَالِس أولياء الله أن يحثوا على رُءُوسهم التُّرَاب، ويخرجوا إلى الصَّعِيد يَحَارون ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام:٤٣] فابكوا على أنفسكم بكاءً طَوِيلًا وَلَا تقيلوا مِيلَاد الْعباد، فَمَا اتخذها عَاقل مقِيلًا![1]

٩٦- قد ثَبت فِي الْحِكْمَة أن شِفَاء الأمراض قصد أسبابها، فَمن استشفي لمرضه بِغَيْر ذَلِك فقد أتى الْبيُوت من غير أبوابها.

فَمن كَانَ داؤه الْمعْصِيَة فشفاؤه الطَّاعَة، وَمن كَانَ داؤه الْغَفْلَة فشفاؤه الْيَقَظَة، وَمن كَانَ داؤه كَثْرَة الِاشْتِغَال فشفاؤه فِي تَفْرِيغ البال. من تفرغ من هموم الدُّنْيَا قلبه قل تَعبه، وتوفر من الْعِبَادَة نصِيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع فِي الْجنَّة مصيره، وَتمكن من الذّكر والفكر والورع والزهد، والاحتراس من غوائل النَّفس، ووساوس الشَّيْطَان.

وَمن كثر فِي الدُّنْيَا شغله أسود قلبه، وأظلم طَرِيقه، وكثر همه، وَنصب بدنه، وَصَارَ مهون الْوَقْت، طائش الْعقل، مَعْقُود اللِّسَان عَن الذّكر، مُقَيّد الْجَوَارِح عَن الطَّاعَة، من قلبه فِي كل وَاد شعبه، وَمن عمره لكل شغل حِصَّة.

فاستعذ بِالله من فضول الأعمال والهموم، فَكل مَا شغل العَبْد عَن الرب

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٣٨).

فَهُوَ مشئوم، وَمن فَاتَهُ الْقرب من مَوْلَاهُ، فَهُوَ لَو جَازَت يَدَاهُ نعيم الْخلد محروم.

كل الْعَافِيَة فِي الذّكر وَالطَّاعَة، وكل الْبلَاء فِي الْغَفْلَة والمخالفة، وكل الشِّفَاء فِي الإنابة وَالتَّوْبَة.

مَتى أردت أن تعلم أي الدَّارَيْنِ أولى بك؟ فَانْظُر أي الْحَالين أغلب عَلَيْك، فإذًا أصحاب الطَّاعَة الْجنَّة أولى بهم، وأصحاب الْمعْصِيَة النَّار أولى بهم.

وَلَا تخادع نَفسك فِي صِحَة النّظر، فجهل الإنسان بِنَفسِهِ أضر الضَّرَر، وأعظم الْخطر.

وَانْظُر بِعَين التفكير وَالِاعْتِبَار: لَو أن طَبِيبًا نَصْرَانِيًّا، نهاك عَن شرب المَاء الْبَارِد لأجل مرض من أمراض الْجَسَد لأطعته فِي ترك مَا نهاك عَنهُ، وأنت تعلم أن الطَّبِيب قد يصدق وَقد يكذب، ويصيب ويخطئ، وَينْصَح ويغش، فَمَا بالك لَا تتْرك مَا نهاك عَنهُ أنصح الناصحين وأصدق الْقَائِلين؟ لأجل مرض الْقلب الَّذِي إذا لم تشف مِنْهُ فَأَنت من أهلك الهالكين.

لَا تقدر على التَّخَلُّص من بلوى الْمعْصِيَة إلا بالتخلص من سجن الْغَفْلَة، وَلَا تتخلص من الْغَفْلَة إلا بتضمير الْبَطن، وتفريغ الْقلب، ومواصلة الذّكر.

فجوّع بَطْنك، وَارْفض شغلك، وَاذْكُر رَبك يعتزلك شَيْطَانك.

إن الشَّيْطَان حَامِل على الْعِصْيَان، والعصيان جُنُون، وَمن لم يحضرهُ الشَّيْطَان فَلَيْسَ بمجنون.

طُوبَى لمن كَانَ كَلَامه مُنَاجَاة الله، وَعَمله مُعَاملَة مَعَ الله، وَالِاعْتِبَار بصنع الله، وَنِيَّته خَالِصَة لوجه الله، يزاحم الْعلمَاء بركبتيه، وَيقبض على الْعلم بكلتي يَدَيْهِ، عِبَادَته مؤسسة على الْقَوَاعِد، وعَلى تَصْحِيح العقائد.

ألا رب من قد أنحل الزّهْد جِسْمه ... كثير صَلَاة دَائِم الصَّوْم عَابِد

يروم وصالًا وَهُوَ بالطرق جَاهِل ... إذا جهل الْمَقْصُود قد خَابَ قَاصد

قَلِيل من الأعمال بِالْعلمِ نَافِع ... كثير من الأعمال بِالْجَهْلِ فَاسد[1]

٩٧- من أحب أن يكون للأنبياء وَارِثًا، وَفِي مَزَارِعهمْ حارثًا، فليتعلم الْعلم النافع وَهُوَ علم الدّين، فَفِي الحَدِيث: «**الْعَلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»، وليحضر مجَالِس الْعلمَاء، فَإِنَّهَا رياض الْجنَّة.

وَمن أحب أن يعلم مَا نصِيبه من عناية الله فَلْينْظر مَا نصِيبه من الْفِقْه فِي دين الله، فَفِي الحَدِيث: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

وَمن سَأَلَ عَن طَرِيق تبلغه الْجنَّة، فليمش إلى مجْلِس الْعلم، فَفِي الحَدِيث: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**».

وَمن أحب ألا يَنْقَطِع عمله بعد مَوته، فلينشر الْعلم بالتدوين والتعليم، فَفِي الحَدِيث: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»[2].

٩٨- قَالَ الله سُبْحَانَهُ تَعَالَى فِي كِتَابه الْمُبين ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾** ﴾ [الأعراف:١٣٠].

ابْتَلَاهُم الله تَعَالَى بِالْقَحْطِ ليخلعوا أردية كبريائهم، ويرجعوا إلى طَاعَة أنبيائهم.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٥٣-٥٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٥٥).

فَالْوَاجِب على كل قوم انْقَطَعت عَنْهُم متصلات الأرزاق أن يعودوا باللوم على أنفسهم وَلَا يتهموا الرَّزَّاق.

ويستغفروا رَبهم من ارْتِكَاب مَعْصِيَته، ويتوبوا إليه من الإصرار على مُخَالفَته، ويتحللوا غرماءهم من أهل الْمَظَالِم، ويأخذوا بالإنكار على يَد السَّفِيه والظالم، ويتصدقوا من فَاضل مَا أَنْعمْ الله عَلَيْهِم على من أحوجه الله إليهم، ويقيموا دين الله كَمَا أُمِر، ويحذروا تَمام نعْمَة الله فيهم فَهُوَ حق الحذر، وينكسروا بَين يَدي الله عساه يجْبر كسرهم، ويبتهلوا إليه بالاستعانة والتضرع لَعَلَّه يكْشف ضرهم وَيصْلح أمرهم[1].

٩٩- كَيفَ يَرْجُو رَاحَة الدُّنْيَا من لا راحة لَهُ دون لِقَاء ربه؟

وَالله لَو كَانَت الدُّنْيَا صَافِيَة المشارب من كل شائب، ميسرَة المطالب لكل طَالب، بَاقِيَة علينا لَا يسلبها منا سالب؛ لَكَانَ الزّهْد فِيهَا هُوَ الْفَرْض الْوَاجِب، لأنها تشغل عَن الله، وَالنعم إذا شغلت عَن الْمُنعم كَانَت من المصائب[2].

١٠٠- قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤].

فِي خلق السَّمَوَات والأرض آيات أكبر من أن تدركها عقول المتأملين، وأكثر من أن يحصيها ضبط الحاصرين، وَلَو لم يكن إلا اختراعها على غير مِثَال سَابق، وقيامها على الدَّوَام بِلَا اضْطِرَاب وَلَا اختلال لَاحق؛ لَكَانَ فِي ذَلِك مَا

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٧١).

يحير ألباب الرِّجَال[١].

١٠١- قال تعالى ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الحديد:٦].

سلط سُبْحَانَهُ اللَّيْل على النَّهَار بإدخاله فِيهِ، وانتقاصه مِنْهُ، فسيسترد مِنْهُ مَا سلبه وَمثله مَعَه بحكمة، لَا يعلم سرها غَيره[٢].

١٠٢- الْقُرْآن يقدمنا إِلَى المتاجر الرابحة وَنحن عَنْهَا متأخرون، وَالْقُرْآن يزهدنا فِي الدُّنْيَا الفانية وَنحن فِيهَا راغبون، مَا راعينا حق نعم الله علينا حق رعايتها، وَلَا تلقيناها بِمَا لزمنا لَهَا من كرامتها، هَذَا رَسُول الله ﷺ تُروى أخباره فليتنا اتبعنا، وَهَذَا كتاب الله تتلى علينا آيَاته فبأيها انتفعنا[٣].

١٠٣- اعْلَم يَا ابْن آدم أَنَّك مَرِيض الْقلب من جِهَتَيْن:

إِحْدَاهمَا: مخالفتك أَمر الله، وَالْأُخْرَى: غفلتك عَن ذكر الله.

وَلْن تَجِد طعم الْعَافِيَة حَتَّى تكون على طَاعَة الله مُقِيمًا، وَلذكر الله مُدِيمًا.

فعالج مرض الْمُخَالفَة بِالتَّوْبَةِ، وَمرض الْغَفْلَة بالإنابة، وَإِلَّا فَاعْلَم عَمَّا قَلِيل أَنَّك هَالك، وَمنتقل من أهلك وَمَالك إِلَى قَبْضَة مَلِكٍ مَالِكٍ[٤].

١٠٤-يا ليتنا عقلنا عَن الله وَلَو حرفا من خطابه، يَا ليتنا قربنا من الله وَلَو عرض شعره من عَزِيز جنابه، إِنَّمَا يفهم مَا أَقُول أَرْبَاب الفطن والعقول، إِنَّمَا يشرب من هَذَا الشُّمُول هُوَ برداء التَّوْفِيق مشمول.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٦).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٧).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٩).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٥).

اسْمَع مَا أَقُول فَهُوَ جميل لَا يضر عَنهُ مَا يَقُول الجهول: كل شَيْء شغول فَهُوَ للنَّفس عول، عَن ذكرٍ لمولى ملكه مَا يَزُول[١].

١٠٥- الدنيا حَبٌّ، وَالْمَعْصِيَة فخ، والشيطان صيَّاد، وَالْإِنْسَان طَائِر، فَمَتَى أكب الْإِنْسَان على الْتِقَاط حلالها فيوشك أن يَقع فِي حرامها، وَمَتى وَقع فِي حرامها فقد أستحوذ عَلَيْهِ قنَّاصه، وَتعذر عَلَيْهِ إِلَّا من جِهَة التَّوْبَة خلاصه.

فَكَيْفَ السَّبِيل إِلَى الْخَلَاص مِنْهَا ورضيعها لَا يُمكنهُ الْفِطَام عَنْهَا؟

وَالْجَوَاب عَن هَذَا السُّؤَال:

أَن تستغيث بالكبير المتعال، فالراجع إِلَى الله مستريح بِالله مِمَّا سواهُ؛ لِأَنَّهُ يستريح من الدُّنْيَا وأشغالها، وَمن الشَّيَاطِين ووسواسها، وَمن الأفكار وغمومها، وَمن الأشغال وهمومها، وَغير ذَلِك مِمَّا النَّاس بِهِ فِي هَذِه الدُّنْيَا مفتونون ومعذبون، وَعَلِيهِ فِي الْآخِرَة محاسبون ومعاقبون، فَأَرِيدوا وَجه الله بِكُل أَعمالكُم، وَجَاهدُوا فِي سَبِيل الله بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالكُمْ، وَأَقْبلُوا عَلَيْهِ يقبل عَلَيْكُم، فَإِنَّهُ لَا يعرض إِلَّا عَمَّن أعرض عَنهُ.

وَلَا تجْعَلُوا طلب الدُّنْيَا أكبر همكم فَيطول فِيهَا همكم، وَفِي الْآخِرَة يطول حسابكم على قدر مالكم.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذُو الدرهمين فِي الْآخِرَة أَشد حسابًا من ذِي الدِّرْهَم[٢].

١٠٦- وَالله لَو أَن محبًا صَادِقًا يسْأَل بذل روحه وَمَاله حَتَّى ينَال نظرة فِي نَومه

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٦).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٧).

يسخو بهَا الحبيب من خياله، وجدته لنَفسِهِ مُهِينًا لنعم باله، والرب تَعَالَى يستقرض منا ربع عشر مَا خوَّلنا من مقتنى أَمْوَاله، فَلَا نجود ثمَّ نرجو حظوة لَدَيْهِ بالنعيم فِي وصاله، هَذَا هُوَ الْمحَال، والمحال لَا مطمع للعاقل فِي مناله.

إِنَّمَا أمركم الله سُبْحَانَهُ بإنفاق أَمْوَالكُم فِي سَبِيل مرضاته ليمتحن مَاله فِي قُلُوبكُمْ من محبته وإجلاله وخشيته ومقامه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨][1].

١٠٧- قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:٣] أَي اطْلُبُوا من ربكُم مغْفرَة سالف ذنوبكم، وتوبوا إِلَيْهِ بِالرُّجُوعِ عَن مُخَالفَته فِي بَقِيَّة أعماركم ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [هود:٣] أَي إِذا استغفرتم ربكُم وتبتم إِلَيْهِ بسط لكم من الأرزاق، وَمد لكم فِي الْأَعْمَار إِلَى وَقت الْمَوْت وَهُوَ الْأَجَل الْمُسَمّى.

وَقيل الْمَتَاع الْحسن: هُوَ أَن يرضيهم بِمَا أَعْطَاهُم، وَقيل: هُوَ استعمالهم بِطَاعَتِهِ وَمَعْرِفَة حَقه، فَإِن الله منعم يحب الشَّاكِرِينَ، وَأهل الشُّكْر فِي مزِيد من الله تَعَالَى، وَذَلِكَ قَضَاؤُهُ الَّذِي قضى، وَذَلِكَ يَعْنِي أَنكُمْ أَيهَا الْمُسلمُونَ قد أطعتم ربكُم فِي الاسْتِغْفَار وَالتَّوْبَة وَقد أنْجز لكم مَا وعد المستغفرين والتائبين من الْمَتَاع الْحسن، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قد عَفا عَنْكُم فِي أبدانكم، ووسع لكم فِي أرزاقكم، وأمَّنكم فِي أوطانكم، وأعلاكم على عَدوكُمْ، وشرفكم على أهل الْملَل، وعصمكم من الرِّدَّة المحبطة للعمل، وستركم وجبركم وآواكم ونصركم، فاعرفوا لله حق نعْمَته عَلَيْكُم وطالبوا أَنفسكُم بِوَاجِب طَاعَته[2].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٩).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٤).

١٠٨- مَتى أردْت أَن تعرف أَن الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ضرتان فَاعْتبر ذَلِك بجوارحك؛ لأنها أبواب دنياك، فَإِن دخلت عَلَيْك من لسَانك: أطلقته فِي الْبَاطِل وَفِيمَا لَيْسَ لَهُ حَاصِل، وشغلتك عَن التِّلَاوَة وَالذكر وأوقعتك فِي لَغْو الْكَلَام والزور وَقَول الْفُجُور.

وَإِن دخلت عَلَيْك من بَصرك: أرسلته فِي النّظر إِلى الْمُحرمَات المُردية، وشغلتك عَن النّظر فِي الْمُصحف وكل مَا فِيهِ عِبْرَة للنَّاظِر وَنور للخاطر.

وَإِن دخلت عَلَيْك من سَمعك: أمالته إِلَى سَماع كل لَهو وباطل، وشغلتك عَن سَماع مَا نَفعه إِلَى الْقلب وَاصل.

وَإِن دخلت عَلَيْك من بَطْنك: كسلتْ عَن الطَّاعَات، وأبسطتْ إِلَى الشَّهَوَات، وأعمت عَن الْفِكر وَالذكر بَصِيرَة قَلْبك، وقادتك إِلَى كل مَا فِيهِ سخط رَبك.

وَإِن دخلت عَلَيْك من فرجك: فَإِن كَانَ حَلَالًا: أوهن الْقُوَّة، وبلَّد الفطنة، وَإِن كَانَ حَرَامًا: مَا زَاد على ذَلِك إِلَّا زَوَال النِّعْمَة وحلول النقمَة.

وَجُمْلَة القَوْل فِي ذمّ الدُّنْيَا: أَنَّهَا لَا تدخل على أحد قطّ إِلَّا أدخلته بحرامها فِي عِقَاب، ومنعته بحلالها عَن الثَّوَاب[1].

١٠٩- عَن قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [الملك:٢].

قَالَ: أذلّ الله ابْن آدم بِالْمَوْتِ، وَجعل الدُّنْيَا دَار حَيَاة وَدَار فنَاء، وَجعل الْآخِرَة دَار جَزَاء وَدَار بَقَاء، فقد اتَّضح بِهَذَا الأثر أَن فِي الْمَوْت حِكْمَة لمن أَرَادَ التدبر، وعبرة لمن اعْتبر.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠١).

فَمن الْحِكْمَة فِي الْمَوْت: وضع عماد المتكبرين، وتنغيص حَيَاة المترفين، وَتَكْذيب ظنون الآملين، وتنبيه عقول الغافلين، وإزعاج قُلُوب المطمئنين، وَرفع أَيدي المتسلطين، وَتَخْفِيف أثقال الْعِبَادَة عَن العاملين، وَفَوْز المحبين بلقاء من كَانُوا إِلَيْهِ مشتاقين.

وَلَو لم يكن فِي الْمَوْت إِلَّا أَنه قَضَاء رب الْعَالمين، لَكَانَ الرِّضَا بِهِ فرضًا لَازِمًا لجَمِيع الْمُؤمنِينَ.

الْمَوْت انْقِطَاع عَن دار الفناء، واتصال بدار الْبَقَاء، وَخُرُوج من دَار الْعَمَل، وَدخُول فِي دَار الْجَزَاء.

الْمَوْت رَاحَة الْمُسِيء والمحسن؛ أما الْمُسِيء فَيَنْقَطِع عَنهُ اسْتِمْرَار طغيانه، وَأما المحسن فيفضي إِلَى دَار الْجَزَاء على إحسانه.

الْمَوْت فِيهِ لِقَاء الأحباب وإحراز الثَّوَاب فَلَيْسَ يكرههُ إِلَّا مريب مرتاب[(١)].

١١٠- المصدقون بِيَوْم الْقِيَامَة أكياس دانوا أنفسهم وَعمِلُوا لما بعد الْمَوْت؛ علموا أَن مَا بِأَيْدِيهِم من الدُّنْيَا سيصبح تراثًا موروثًا، وهباءً مبثوثًا ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧][(٢)].

١١١- فإياك والتفرغ لثلب أَعْرَاض النَّاس، فالعاقل عَن ذكر الخاطئين مَشْغُول، الْعَاقِل عَن ذكر الورى مَشْغُول، قد أَيقَن أَنه غدًا مسؤول.

من أَيقَن أن ربه سائله، فالصارم فَوق رَأسه مسلول[(٣)].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠٧).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٤).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٤).

١١٢- كم فِي الْقُرْآن من ذكر يَوْم الْوَعيد، وَلَو لم يكن إِلَّا سُورَة التكوير والانفطار، لَكَانَ كَافِيًا لِذَوي الأسماع والأبصار، فليت شعري، هَل أَنْتُم بالقيامة مصدقون؟ أم الْمَوْعُود بهَا قوم آخَرُونَ؟ وَأَن عَلَيْهَا صدأ الذُّنُوب، وَمن ران الذَّنب على قلبه فَهُوَ من الْآخِرَة مَحْجُوب[١].

١١٣- أول مَا يحْتَاج إِلَيْهِ العازم على ذكر الله: التفرغ من الشواغل الظَّاهِرَة، ثمَّ تسكين جوارح الْبدن عَن الحركات الشاغلة، ثمَّ قطع الْفِكر عَن قلبه، ثمَّ إِشْعَار نَفسه عَظمَة مَا قد عزم عَلَيْهِ من ذكر ربه، ثمَّ استفراغ الوسع فِي تجويد الذّكر، ثمَّ إطالة الْمجْلس مَا أمكنه إطالته، ثمَّ التحفظ بالحالة الَّتِي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حِين يقوم عَن الذّكر إِلَى أَن يعود إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الشَّرَائِط السَّبع، من راعاها حق الرِّعَايَة بلغ من مُرَاد الذَّاكِرِينَ أقْصَى الْغَايَة[٢].

١١٤- فكم أفسدت الْغَيْبَة من أَعمال الصَّالِحين، وَكم أحبطت من أجور العاملين، وَكم جلبت من سخط رب الْعَالمين، فالغيبة فَاكِهَة الأرزلين، وَسلَاح العاجزين، مُضْغَة طالما لَفظهَا الْمُتَّقِينَ، نَغمَة طالما مجها أسماع الأكرمين[٣].

١١٥- فِي البُخَارِيّ من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[٤].

فِي هَذَا الحَدِيث دَلِيل على أَن الْعَامِل قد يكون بصلاح ظَاهره معمورًا، وَقد سقط عَن عين الله حَتَّى مَا يزن عِنْده نَقِيرًا، فَإِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة ظهر

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٥).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٩).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٥٧)، والترمذي (٧٠٧).

لِلْخَلَائِقِ من أمره مَا كَانَ مَسْتُورًا، وَظَهَرت مخبآت الصُّدُور على صفحات الْوُجُوه رقمًا مسطورًا، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء:١٣](١).

١١٦- يَقُول الله عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابه الْمُبين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة:١١٢].

سَبَب نزُول هَذِه الْآيَة: أَنه لما نزل قبلهَا ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ [التوبة:١١١] قَالَ رجل: يَا رَسُول الله وَإِن زنى وَإِن شرب الْخمر وَإِن سرق؟ وَنزل بعْدهَا ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُول: الْجنَّة حَاصِلَة لِلْمُؤمنِ وَلَو أَتَى الْكَبَائِر وغشي الْفَوَاحِش، وَلَكِن إِذا تَابَ؛ لِأَن الْمُؤمن إِذا عمل الذُّنُوب فَلَا بُد لَهُ وَلَو عِنْد مَوته أَن يَتُوب، وَهَذَا من كرم الله تَعَالَى بِعَبْدِهِ الْمُؤمن، أَنه إِذا تَابَ إِلَيْهِ قبل مَوته قبل الله تَوْبَته، كَمَا فِي الحَدِيث عَن رَسُول الله ﷺ أَنه قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(٢)(٣).

١١٧- التائبون على ثَلَاث طَبَقَات:

فأدناهم: التائبون من الْكفْر.

وأوسطهم: التائبون من الْمعْصِيَة.

وَأَعْلَاهُمْ: التائبون من الْغَفْلَة.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٢٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٣٠).

والعابدون أَيْضا على ثَلَاث طَبَقَات:

أَدْنَاهُم: الموحدون.

وأوسطهم: المطيعون.

وَأَعْلَاهُمْ: المتبتلون.

والحامدون أَيْضا على ثَلَاث طَبَقَات:

أَدْنَاهُم: الْقَائِم بِالْحَمْد الْوَاجِب كَقِرَاءَة سُورَة الْحَمد فِي الْمَكْتُوبَة.

وأوسطهم: الحامد فِي كل مَوضِع يشرع فِيهِ الْحَمد كالفراغ من الْأَكْل وَالشرب والعطاس.

وَأَعْلَاهُمْ: الحامدون على كل حَال مِثْلَمَا كَانَ نوح عليه السلام، فَسَماهُ الله عبدًا شكُورًا[1].

١١٨- تَفْسِير حَدِيث مُتَّفق على صِحَّته من الْأَحْكَام، اتّفق على صِحَّته عُلَمَاء الْإِسْلَام، وَهُوَ مَا رَوَاهُ عبد الله بن عَمْرو بن الْعَاصِ، أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ أَحَدِكُمْ وَهُوَ قَاعِدٌ مِثْلُ نِصْفِ صَلَاتِهِ وَهُوَ قَائِمٌ»[2].

الْقَائِم فِي الصَّلَاة لَهُ مزية على الْقَاعِد فِيهَا من سَبْعَة أوجه:

الأول: الْمَشَقَّة؛ لِأَن الْقَائِم يلْحقهُ من التَّعَب مَا لَا يلْحق الْقَاعِد.

الثَّانِي: الْأَدَب؛ لِأَن الْقَائِم فِي الْخدمَة أحسن أدبًا من الْقَاعِد.

الثَّالِث: النشاط؛ لِأَن الْقَائِم أنشط فِي الْخدمَة وَأبْعد من الكسل وَالنُّعَاس.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٣٢-١٣٣).

(٢) رواهُ مالك بهذا اللفظ (٣٦١)، والبخاري (١١١٥)، ومسلم (٧٣٥) عن عمران بن حصين.

الرَّابِع: التَّمَكُّن؛ لِأَن الْقَائِم أقدر على فصاحة الْكَلَام فِي الْمُنَاجَاة وتحسين هيئات العبادة.

الْخَامِس: كَثْرَة التنوع فِي فنون الْخدمَة؛ لِأَنَّهُ إِذا صلى قَائِما فقد عبد ربه بِالْقيامِ وَالرُّكُوع وَالسُّجُود وَالْقعُود، وَإِذا صلى قَاعِدا فَاتَ نوع من الْأَرْبَعَة.

السَّادِس: أَن من صلى قَائِما أَخذ نَصِيبا من ترويح الْقلب، بِسَبَب تنقله من حَال إِلَى حَال، أَكثر نَصِيبا من الْقَاعِد، وترويح الْقلب يعين على جودة الذّكر.

السَّابِع: أَن من صلى قَائِما فقد أطَاع الله تَعَالَى بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨] وَطَاعَة الْأَمر مُوجبَة الْأجر، وَلَو لم تكن حكمته مَفْهُومه فَكيف؟

وَقد ظَهرت الْحِكْمَة فِي الْقيام فِي الصَّلَاة من وُجُوه كَثِيرَة.

وَاعْلَم أَن وُرُود هَذَا فِي صَلَاة النَّافِلَة، وَأما الْفَرِيضَة فَلَا تصح صلَاتهَا قَاعِدا مَعَ الْقُدْرَة على الْقيام، وَمن صلى قَاعِدا فِي الْفَرِيضَة مَعَ قدرته على الْقيام فَهُوَ عَاص، وَاخْتلف الْعلمَاء فِي كفره، وَأما النَّافِلَة فَجَائِز فِيهَا الْجُلُوس مَعَ الْقُدْرَة على الْقيام، لَكِن الْقيام أفضل لما تقدم من الْوُجُوه، وأجره نصف أجر الْقَائِم، وَإِن كَانَ عَاجِزا عَن الْقيام لم ينقص أجره لِأَنَّهُ عَاجز عَن الْقيام[1].

١١٩- كَانَ رَسُول الله ﷺ من الحطام الفاني فارغ الْيَد، وَمن كنوز الْمعرفَة مَمْلُوء الْقلب، فَلَمَّا نظر الجاهلون بِالله إِلَى تجرد ظَاهره، ظنُّوا أَنه بحاجة دنياهم. فَقَالَ لَهُ كفار مِلَّة: قد علمنَا إِنَّمَا يحملك على مَا تدعونا إِلَيْهِ الْحَاجة، فَنحْن نجْعَل لَك نَصِيبا فِي أَمْوَالنَا حَتَّى تكون من أغنانا رجلا، وَترجع عَمَّا أنت

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٣٦-١٣٧).

عَلَيْهِ؛ فَنزلت هَذِه الْآيَة ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام:١٣] أَي إِذا كَانَ الَّذِي لَهُ مَا يحتوي عَلَيْهِ الزَّمَان، فَكيف تكون مُحْتَاجا إِلَى عَطِيَّة إِنْسَان؟![1]

١٤٠- لَا يزَال الْإِنْسَان صَرِيعًا تَحت الشَّيْطَان حَتَّى يذكر الله وَيَتْلُو الْقُرْآن، فَحِينَئِذٍ يَسْتَوِي الْإِنْسَان قَائِما ويخر الشَّيْطَان صَرِيعًا.

فَمن شَاءَ أن يكون الْعَدو عَن لحاقه بطيئا، فَلْيَكُن إِلَى الذّكر والتلاوة سَرِيعا.

استظهر بِشرب ترياق الْقُرْآن على سم أَفْعَى الشَّيْطَان قبل أَن تَمُوت لسقياه[2].

١٤١- فَإِن قيل: مَا الْحِكْمَة فِي تَخْصِيص الْقَمَر بِالذكر دون الشَّمْس فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس:٥] فَالْجَوَاب: أَن الْقَمَر يقطع الْمنَازل فِي كل شهر، وَالشَّمْس لا تقطعها إِلَّا فِي كل سنة، فَلَمَّا كَانَ الْقَمَر أسْرع مِنْهَا فِي طي المراحل، كَانَ أولى مِنْهَا بتخصيص الذّكر فِي تَقْدِير الْمنَازل[3].

١٤٢- يَا من قد شغلت عَن ذكر ربه الشواغل، يَا من كلما أيقظته العبر فَهُوَ غافل، يَا من هُوَ فِي رُتْبَة الطَّاعَة نَاقص، وَفِي مرتبَة الْمعْصِيَة كَامِل، أما تَسْتَحي مِمَّن سرك إِلَيْهِ صاعد، وَخَبره إِلَيْك نازل ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس:٥].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٣٩).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٥٢).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٠).

أيامك تمر مر السَّحَاب وَأَنت إِلَى البطالة جَائِع، لَا تضيف إِلَى الموعظة من واعظ، وَلَا تقبل النَّصِيحَة من نَاصح، وَأَنت عَمَّا قَلِيل من سكان الضرائح، فَمَا أَنْت قَائِل لمن هُوَ لحقوقه مِنْك مطَالب، وَعَن حُقُوق عباده سَائل؟![1]

١٢٣- هَذِه مزارع المؤثرين حرث الْآخِرَة على حرث الدُّنْيَا، فَأَيْنَ الزارعون؟

إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

وَالله لَو أَن الْعباد سمعُوا هَذِه الْآيَة كَمَا يَنْبَغِي لَهُم أن يسمعوها، لَو كَانَ بَينهم وَبَين الله بحار النَّار لخاضوها، شوقا إِلَى مَا شوقهم مَوْلَاهُم إِلَيْهِ، من لَذَّة بهجة الْقدوم عَلَيْهِ.

كم قد أَهْلَلْنَا من شهر شرِيف الْمِيقَات، ثمَّ يَنْسَلِخ عَنَّا، وَنحن من قشرنا مَا انسلخنا؟

كم قدم علينا من موسم تُغسَّل فِيهِ أوساخ الْقُلُوب بمياه العبرات، ثمَّ يرحل عَنَّا وَمَا تطهرنا، بل اتسخنا؟[2]

١٢٤- أَرْبَعٌ من مهمات المطالب لَا يَنْبَغِي أَن يهتم بغَيْرهَا الطَّالِب حَتَّى يحوزها قبل كل مُسْتَحبّ وواجب:

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦١).

الْمطلب الأول: التَّقْوَى وَهِي: أَدَاء الْفَرَائِض، وَاجْتنَاب الْمَحَارِم.

الثَّانِي: الْوَرع: وَهُوَ تَحْرِير مقَام التقى بترك الْمُحرمَات والمشتبهات الَّتِي تدق وتخفى.

الثَّالِث: الزّهْد: وَهُوَ ترك مَا لَيْسَ إِلَيْهِ ضَرُورَة، وَلَا فِيهِ عِنْد أهل الله مصلحَة.

الرَّابِع: الْعِبَادَة: وَهِي اسْتِعْمَال الْقلب والجوارح فِي الْخدمَة.

فَكل طَالب طلب أَن يُعد من الرِّجَال، بِدُونِ إحكام هَذِه الْخِصَال، فَهُوَ طامع فِي نيل مَا لَا يُنَال[1].

١٢٥- حسرات المحرومين:

ثَلَاثَة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسرين:

عبد كَانَ يَرْجُو الْوَفَاة على الْإِسْلَام فأدركه عِنْد الْمَوْت سوء الخاتمة.

وَعبد كَانَ يَرْجُو التَّوْبَة وهو مصر على الْخَطِيئَة.

وَعبد يَرْجُو اللحاق بأولياء الله، فحرمته الْمَقَادِير بُلُوغ مَا رجا[2].

١٢٦- كم لله من عُتَقَاء كَانُوا فِي رق الذُّنُوب والإسراف، فَأَصْبحُوا بعد ذل الْمعْصِيَة بعز الطَّاعَة من الْمُلُوك والأشراف، أكْرمُوا مَوْلَاهُم أَن يراهم حَيْثُ نَهَاهُم، فأفادهم ذَلِك التَّعْظِيم والاحترام جلالة وكرامة عِنْد ذِي الْجلَال[3].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٧١).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٧٢).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٧٤).

١٢٧- أَخْوج النَّاس إِلَى صُحْبَة المعلمين ثَلَاثَة رجال:

رجل يطْلب أن يكون من وزراء السلاطين.

وَرجل يطْلب الْعلم ليصير بِهِ من أَئِمَّة الدّين.

وَرجل يطْلب الْعِبَادَة ليتوصل بهَا إِلَى مقامات المقربين.

لأن من صحب السُّلْطَان بِغَيْر تأدب بِأَهْل ذَلِك الشَّأْن، لم يَأْمَن أن يكون حتفه فِي سقطة من سقطات اللِّسَان، وَمن لم يتأدب بِعِلْمِهِ بآداب الْعلمَاء لم يَأْمَن أن يكون حتفه فِي بعض أَوديَة ضلال الآراء.

وَمن تعبد من غير مداخلة لأولياء الله لم يَأْمَن أَن يتبع السبل فَتفرق بكم عَن سَبِيل الله[1].

١٢٨- قطاع الطَّرِيق على أَرْبَاب السلوك أَرْبَعَة:

كَافِر مُطَاع يشكك فِي الله.

ومبتدع يزيغك عَن سنة رَسُول الله.

وفاسق يُجريك على معاصي الله.

وغافل ينسيك صُحْبَة ذكر الله[2].

١٢٩- قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٣).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٣).

قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ الآيات: هِيَ الْعَجَائِب، وَكم أطلع الله نبيه لَيْلَة الْمِعْرَاج على بِنَاء عَظِيم وَأمر عَجِيب.

سُؤال: مَا الْحِكْمَة فِي افْتِتَاح آيَة الْإِسْرَاء بِلَفْظ سُبْحَان؟

الْجَواب: إِن لَفْظَة سُبْحَانه، تَقُولهَا الْعَرَب عِنْد الْأَمر العجيب، فافتتحت بهَا آيَة الْإِسْرَاء لما كَانَ فِيهِ من الْأَعَاجِيب.

سُؤال: مَا الْحِكْمَة فِي قَوْله بعبده ولم يقل بِرَسُولِهِ وَلَا بِنَبِيِّهِ؟

الْجَواب: وصفه بالعبودية فِي هَذَا المقام؛ حَتَّى لَا تغلو فِيهِ أمته غلو النَّصْرَانِيَّة واليهودية، وأحوج مَا يكون العَبْد إلى التَّوَاضُع لِعَظَمَة ربه، أقرب مَا يكون من معارج قربه، فأخوف مَا يكون العَبْد يَوْمًا من الإبعاد أقرب مَا يكون.

سُؤال: مَا الْحِكْمَة فِي جعل الْمِعْرَاج بِاللَّيْلِ دون النَّهَار؟

الْجَواب: إِن اللَّيْل أفرغ للقلب، وَأجْمع للهمّ، وأهيأ للوصل، وأنظم للشمل.

سُؤال: مَا وَجه ذكر السّمع وَالْبَصَر دون غَيرهمَا من الْأَوْصَاف فِي آخر هَذِه الْآيَة؟

الْجَواب: إِن كَانَ السَّمِيع الْبَصِير رَسُول الله ﷺ، فلولا صِحَة سَمعه ونفوذ بَصَره، لم يكن أَهلا أَن يُتْلَى على سَمعه مَا يُتْلَى، ويجلى على بَصَره مَا يجلى، وإن كَانَ السَّمِيع الْبَصِير هُوَ الله تَعَالَى، فلولا أَنه سميع لأقوال عباده، بَصِير بأعمال خلقه، لما اخْتصَّ بالإسراء إِلَى كريم حَضرته رجلا وَاحِدًا من جَمِيع بريته، الله أعلم حَيْثُ يَجْعَل رسالاته[1].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٨-١٩١).

١٣٠- من أسلم لرَبه فقد استمسك بالعروة الوثقى وَالْحَبل المتين، وَمن أقام الصَّلَاة لذكره فقد أَخذ مركزه من صُفُوف العارفين، وَمن جَاهد فِي سَبيله فَليَتَبَوَّأ مَقْعَده من مائَة دَرَجَة أعدت لِلْمُتقين الْمُجَاهدين.

لقد تخصص الْجِهَاد على سَائِر الْقرب ببذل النَّفس للعطب، فِي موطن يتَمَيَّز فِيهِ الْخَزف من الْجَوْهَر والنحاس من الذَّهَب[١].

١٣١- المتهجدون لله بِاللَّيْلِ هم حماة الْإِسْلَام، وثناؤهم على الله مَفَاتِيح دَار السَّلَام، يبيتُونَ يراوحون بَين الْحَيَاة والإقدام، وَالنَّاس على فرشهم نيام، فَأهل الْعبادة بَيْننَا كالمقاتلين عَن المنهزمين، بهم يدْفع الله الْعَذَاب عَن العاصين، ويحرس الْعباد والبلاد من جيوش الكافرين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١][٢].

١٣٢- الْحَسَنَة إِذا طلب بهَا وَجه الله، تصير التمرة كالجبل العظيم ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١] أَلا منفق لله من فضل يُوَفي عَظِيم الْأَجر من فضل مَاله[٣].

١٣٣- من بخل عَن الْإِنْفَاق فِي سَبِيل الله فَإِنَّمَا يبخل عَن نَفسه، وَمن لم يقدس روحه بِالْأَعْمَالِ المرضية لله لم يدْخل فِي أهل قدسه، وَمن لم يستوحش

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٦).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٦).

من كل مَا يشْغلهُ عَن الله لم يصر من أهل أنسه، وَمن قصَّر فِي خدمَة الله جنى ثَمَر تَقْصِيره وَقت حُلُول رمسه، حِين لَا يحصد حاصد إِلَّا مَا زرعه، وَلَا يجني جَانٍ إِلَّا من غرسه.

كَيفَ تُقبل من الْمُقَصِّرِينَ الْأَعْذَار وَقد بدلُوا نعْمَة الله كفرًا وَأَحلُّوا قَومهمْ دَار الْبَوَار؟

فإياكم أَن تَفِرُّوا من الْعَدو، فكم قد كسا الْفِرَار أَهله من لِبَاس الْعَار، أما سَمِعتُمْ كَلَام من اخْتصَّ بِكَلَامِهِ صَفِيَّه المختار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنفال:١٥]، لَو صرت مُجَاهدًا وَقت مُطَالبَة النَّفس ومحاربة الشَّيْطَان لرأيت من نصر الله الْعجب، وَلَكِنَّك انقلبت يَوْم الفرار إِلَى حَيَاة الخزي والعار فبئست الْحَيَاة وَبئسَ المنقلب، ربحت الخزف وَالْحجر وخسرت الْجَوْهَر وَالذَّهَب.

أما سَمِعت كَلَام الْعَزِيز الغفار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ رضيت بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا من الْآخِرَة، وخسرت الصَّفْقَة الرابحة، وربحت الصَّفْقَة الخاسرة.

كَيفَ طابت نَفسك أَن تكون ظهيرًا لفئة النَّفس على فِئَة الْقلب، وَفِئَة الْقلب مُؤمنَة وَفِئَة النَّفس كَافِرَة؟ كَيفَ اخْتَرْت لنَفسك أن يُقَال جبان فَرَّار، أما سَمِعت كَلَام من لَهُ الْعِزَّة والاقتدار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

١٣٤- إِن مِمَّا قضى الله علينا فِي مُحكم كِتَابه من أنباء أنبيائه، وَنَصره أوليائه

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٧).

على أعدائه، مَا يثبت الْفُؤَاد، وينبه من الرقاد، قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة:٢٠].

لما حرص الكليم على تحريض قومه على جِهَاد الْأَعْدَاء، ذكرهم بِمَا لله عَلَيْهِم من النعماء، حَيْثُ يأنفون على أنفسهم من الهوان بعد الْإِكْرَام، وَمن ظُهُور عَبدة الْأَصْنَام على مِلَّة الْإِسْلَام، فَقَالَ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فَكَأَنَّهُ يَقُول: أما يأنف من أكْرمه الله بالشريعة النَّبَوِيَّة أَن يجبن من جِهَاد أعدائه، وَقد استولوا على دياره وأبنائه؟ وَهل يرضى بِهَذَا لنَفسِهِ من لَهُ أنف؟ كلا وَالله مَا رَضِي بالهوان كريم، وَلَا استسلم للأعداء لئيم[1].

١٣٥- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢].

كل من لَا تكون خشيَة الله أغلب عَلَيْهِ من خشيَة الْخلق، مَلأ الله قلبه مِمَّا سواهُ رُعْبًا، وَجعل كل شَيْء يخافه رَبًّا.

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المائدة:٢٢].

لما جَنبُوا عَن الْقِتَال أحالوا على الْمحَال، وَهُوَ طَرِيق من طرق الضلال، لَا بَارك الله فِي رجال قد سلكوا سبل الضلال[2].

١٣٦- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٢٣].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٨).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩٩).

مَا بَين العَبْد وَبَين النَّصْر إِلَّا أَن يوطن نَفسه على الصَّبْر، أمروا بِالدُّخُولِ من الْبَاب على عدوهم، وَضمن لَهُم النَّصْر عقيب دُخُولهمْ؛ فَلَو تلقوا أَمر رَبهم بِالسَّمْعِ والإطاعة لم يحولهم إِلَى الصَّبْر إِلَّا سَاعَة.

فَلَا قرت عُيُون الْجُبَنَاء، مَاذَا فاتهم من النَّصْر والْعَلَاء، لَو وطنوا أنفسهم على صَبر سَاعَة يَوْم اللِّقَاء[1].

١٣٧- ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة:٢٣].

فِي هَذِه الْآيَة دَلِيل على أن من ولَّى وَقت الزَّحْف فَلَيْسَ لَهُ نصيب فِي التَّوَكُّل، وفيهَا دَلِيل على أَن من لَا توكل لَهُ فَلَا إِيمَان لَهُ.

لِأَن الْمَعْنى: إِن كُنْتُم مُؤمنين فتوكلوا، وَإِن كُنْتُم متوكلين فاثبتوا، فمفهومها: إِن لم تثبتوا فَمَا أَنْتُم متوكلين، وَإِن لم تتوكلوا فَمَا أَنْتُم مُؤمنين، أَي لَا يتم إيمانك إِلَّا بالتوكل، وَلَا يصدق توكلكم إِلَّا بالثبات، قَالُوا: يَا مُوسَى إِنَّا لن ندْخلهَا أبدًا مَا داموا فِيهَا، جرى فأْلُهُم على ألسنتهم حِين قَالُوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾ فلم يدخلوها لِأَن الله حرمهَا عَلَيْهِم، وَهَذَا جَزَاء كل من لَا يتَقَبَّل النعم بالشكر، أَي يُحَال بَينه وَبَينهَا بلون سَواد بِهِ آخر الْعَهْد مِنْهَا[2].

١٣٨- فَمَتَى أردْت أَن تعرف عناية الله بعباده الْمُؤمنِينَ، وبِمَاذَا انْعمْ الله على أهل التَّقْوَى وَالْيَقِين، فَاتْلُ أَربع آيَات من سُورَة الْبَقَرَة، لتعلم أَن خيرة خلق الله من جَمِيع الْعَالمين: أهل الْإِيمَان وَالْيَقِين والتقى، الَّذين ارْتَقَوْا من معارج النُّور

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٠٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٠١).

كل مرتقى، وحصلوا على النَّعيم، وتخلصوا من طول الْبَقَاء فِي دَار الشَّقَاء[١].

١٣٩- إياك والنفاق، فالمنافق لرَبه مخادع، وَلَا تطمع فِي الْخَلَاص بِغَيْر إخلاص، فالطمع سراب خَادع.

رُبمَا نفع الرِّيَاء فِي الدُّنْيَا وَلكنه فِي الْآخِرَة ضار لَا نَافِع.

أهل الْإِخْلَاص على طَرِيق من سلكها فقد اهْتَدَى، وَأهل الضلال قوم لَا يرجعُونَ عَن الضلال إِلَى الْهدى، لَا يحذرون مصَارِع السوء وَلَا يخَافُونَ عواقب الردى.

لقد ضرب الله لِلْفَرِيقَيْنِ فِي كِتَابه الْأَمْثَال وَلم يتركهم سدى، فَأَما أهل الْحق فصبروا عَلَيْهِ وَأما أهل الْبَاطِل فطال عَلَيْهِم المدى.

لأولي الْأَبْصَار تضرب الْأَمْثَال، وَسَمَاع من لَا روح فِيهِ محَال[٢].

١٤٠- فَمن كَانَ على عبَادَة الله عاكفًا لم يَجعله الله لغيره عبدًا، وَلَا بِغَيْر بَابه وَاقِفًا.

وَمن تكبر عَن عبَادَة مَوْلَاهُ ابتلاه بِعبَادة من سواهُ، حَتَّى فِرْعَوْن الَّذِي قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] كَانَ بِعبَادة غير الله مبتلًا، وَلِهَذَا قَالَ الملأ من قوم فِرْعَوْن: أنذر مُوسَى وَقَومه ليفسدوا فِي الأَرْض، ويذرك وآلهتك، لما تكبر عَن عبَادَة الْحق، وَادّعى أَنه إِلَه لجَمِيع الْخلق، ابتلاه الله بِعبَادة الْأَصْنَام على وَجه الإهانة والإرغام[٣].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢١٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢١١).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٢١٢).

١٤١- تدبر أَمْثَال الْقُرْآن، فقد ضرب الله للنَّاس فِيهِ من كل مثل.

إِنَّمَا فَائِدَة ضرب الْمثل: ظُهُور مَا خَفِي من حسن أَو قَبِيح فِي وصف أَو عمل.

ضرب الله سُبْحَانَهُ فِي كِتَابه الْمثل «بالحمار» لعالم أقبل بِلِسَانِهِ على دراسة الْعُلُوم ثمَّ أعرض بِقَلْبِه عَنْهَا، و«بالكلب» لعالم أَتَاهُ آيَاته فانسلخ مِنْهَا، و«بالحجارة» لقساة الْقُلُوب، و«بالأنعام» لمن همه فِي الْمَأْكُول والمشروب، و«بالعنكبوت» فِي ضعف من اشْتَدَّ فِي عبَادَة الْمَخْلُوق مثله، و«بالذباب» فِي عجز الْأَوْثَان عَن استنفاذ مَا سلبه بغيه أَو علق بِرجلِهِ[١].

١٤٢- الصائمون ثَلَاثَة، والمعيّدون ثَلَاثَة:

صَائِم عَن المفطرات المتناولة للبطون والفروج، ومعيّد إِذا أذن شهر صِيَامه بِالْخرُوجِ.

وصائم عَن الْمُحرمَات المحظورة فِي الْكتاب وَالسّنة، ومعيّد إِن زحزح عَن النَّار وَأدْخل الْجنَّة.

وصائم عَن كل مَا ألهاه عَن مَوْلَاهُ، ومعيّد إِذا قدم عَلَيْهِ تَلقاهُ بِرِضَاهُ وتجلا لَهُ حَتَّى يرَاهُ[٢].

١٤٣- اطْلُبُوا حَيَاة الْقُلُوب من موت الذُّنُوب، واحيوا مَا بَقِي من لياليكم فِي خدمَة علام الغيوب.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢١٣).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٠).

واغتنموا عمرًا بَاقِيه لَا يبْقى، وماضيه لَا يؤوب، يَا من قد شَاب وَهُوَ بِالذنُوبِ مشوب، يَا غيبَة احتوت على كل غيوب، بَادر فالشمس قد تدلت للغروب، والعمر كالثلج كلما جَاءَت يذوب[1].

١٤٤- الْأَوْقَات الشراف مواسم الْأَشْرَاف، يعْرفُونَ لَهَا جلال قدرهَا، ويرغبون إِلَى الله فِي عَظِيم تزيد الْعَامِل نشاطًا فِي الْعَمَل، وَتطلق العاطل من عقال الكسل.

فأقيموا فِي هَذِه الْأَوْقَات الْمُبَارَكَة دين الله حق الْإِقَامَة، وَلَا تهتموا بتحصيل الْغَنِيمَة إِلَّا بعد إِحْرَاز السَّلامَة، فَإِن فَاعل الْخَيْر غَانِم، وتارك الشَّرّ سَالم، والعاقل هُوَ الَّذِي تهمه سَلَامَته من المعاطب قبل أَن يهمه تَحْصِيل المكاسب[2].

١٤٥- إذا أردت أن تعرف بعض ما لله أهله من تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف والمكروب، فتذكر ما كنت فيه في ضائقة الأحشاء، إذ لا تَبطِشُ مع من يبطِش، ولا تَمشي مع من مشى، مسجونًا في أضيق السجون، لا تشعر بما يكون وما لا يكون قد جمع بطنك وساقاك إلى فخذيك، وخررت بذقنك على ركبتيك، مربوطًا بالرُّبط اللوازم، مقموطًا في قمط المشائم، لا تعرف الليل من النهار، ولا تفرق بين الغائب والحاضر، مكتوف اليد والرجل والسمع والبصر، لا تستوحش لمن غاب ولا تستأنس ممن حضر.

يخلق خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ليس لك إلى غير الله ملتجأ، ولا من دون الله مستعان، ففيما أنت في تلك الضائقة والحرج، لا يقدر أبواك ولا

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢١-٢٢٢).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٦).

غيرهُما على توسعة ولا فرج، إذ أرسل الله إليك من ملائكته الألطاف من حلّ عنك تلك الروابط، وقطع عنك ذلك الكتاف، ثم دبَّرك وأنزلك من لطفهِ بما لا تهتدي العقول إلى وصفه، فإذا أنت في سعة القضاء بعد ضيق تلك الأحشاء، محفوفًا مرحُومًا بأنواع الأرزاق من الأجانب والأقرباء، هذا يلقي عليك ناعم الثياب، وهذا يسقيك بارد الشراب، مخدومًا محفوفًا مرحومًا مكنونًا فيما اشتهت نفسك من لبنٍ لم يتغيّر طعمه، بقدرة الخالق دورهُ، وعند الرازق علمه.

حتى إذا تمت نعمة الله عليك في تمام نشأتك، وبلغْتَ النهضة والمعرفة لا بحولك ولا بقوتك، تحملت من الهموم، وعلّقت لغير كرم الله آمالًا، وتخيّرتك في شدائدك من ذا تعول، ولا ترجع إلى صانعك فيما نابك، ولا تهتدي إليه، كأنك كنتَ المدبِّر لنفسك في أطوار الأرحام والأصلاب.

جَدِّدْ إيمانك، فقد ارْتبتَ بضمان خالقك، كذلك يضلّ الله من هو مُسرفٌ مُرتاب.

اللهم.. اهدِنا، ولا تُضلّنا، يا أرحم الراحمين[1].

١٤٦-إياك والطمع فيما في أيدي المخلوقين فالمطامع قاطعة الأعناق، وصن وجهك عن استرزاق المخلوقين وتوجه إلى الرازق، أخلقَتْ مسألة الخلق وجوه السائلين فأين أنت عن الخلاق، اسأل من خيره، واستعذ من شره، وتعرض لعطائه ورفده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده.

من رزقه الله الكفاف والعفاف فقد ألبسه ثوب الشرف، ومن ابتلاه بالمسألة

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٣٨).

والإلحاف فقد أوقعه في مهواة التلف، ومن جعل رزقه من كسبه وعافاه من الإسراف فقد وفقه لسيرة السلف. فاسلك سبيل من تعفف عن السؤال، وترفع عن أوساخ أيدي الرجال، وارض عن الله في جميع الأحوال، وثق بالخالق في ضمانه وصدق الوفاء في وعده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده[١].

١٤٧-ثلاثة من الناس عناؤهم طويل، وحاصلهم قليل:

المبتهل في الدعاء وغذاؤه خبيث.

والدارس للعلوم وفهمه بليد.

والمجتهد في الأعمال ويقينه ضعيف.

مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاء بالحرام: كمثل الرامي بالسهام في هدف من رخام.

ومثل كثرة الدرس مع بلادة الفهم: كمثل الاستكثار من الطعام مع سوء الهضم.

ومثل المجتهد في العمل مع ضعف اليقين: كمثل تطويل البناء على غير أسٍّ مكين.

إذا أحسست من نفسك بضعف اليقين، فاستكثر من ثلاثة أشياء:

-أحدها: إجالة الفكر في آيات الحق سبحانه في سمواته وأرضه وسائر خلقه.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٦).

-ثانيها: النظر في المصحف وعلوم أهل اليقين الذين صنفوا في تسليل الخلق إلى الخالق.

ثالثها: مجالسة العلماء العاملين، والصلحاء من أهل الدين الذين يفيدك النظر إليهم، والإصغاء إلى كلامهم، رسوخ اليقين في قلبك.[١]

١٤٨-ما أثقل رقاد العافلين، ومن بلادة أفهام الجاهلين: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦].

شمس الهرم تنسخ علل الشباب، ومركب الأجل يمر مر السحاب، أما الأعمار ففانية آخذة في الذهاب، وأما الأعمال فباقية خالدة في كتاب، فتأملوا مصائر النافرين، بما تملون على الكرام الكاتبين، ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[٢].

١٤٩-إذا سئلت عن أكثف الخليقة بالاً؟ فقل: هو محب بسهم البعاد رمي.

إذا قيل لك: من أسوأ البرية حالاً؟ فقل: مخلوق إلى غير جناب الخالق مرتمي.

ومتى أردت أن تعرف المعافاة من جميع البلوي؟ فهو الذي إلى سند التقوى مستند، وبحمي التقوى محتمي[٣].

١٥٠-أربع نصائح مستخرجة من أصول نصوص الكتاب والسنة، من عمل بها فقد سلم من سخط الله والنار، وحصل على رضوان الله والجنة وهي:

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٥٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٥٤).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦١).

[التقوى والورع والزهد والعبادة].

وهذه الأربع نظام الدين، من أقامها مُحيت عنه الشقوة، وكتبت له السعادة.

فاتقِ الله باجتناب المحرمات تكن من التوابين.

وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين، ومن مات وتطهر فقد صار من أحباب الله، والله محب التوابين ومحب المتطهرين.

وأما الزهد فهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة في الدنيا، وبه تتخلص من الحساب الطويل.

وأما العبادة فهي: إقبالك على خدمة المولى، وبها تحصل الثواب الجزيل، وتدخل على الملك الجليل[١].

١٥١-فمن زهد وتورّع واتقى، فقد ارتقى من مقاعد الصدق كل مرتقى.

فأما التقوى فذكرها كثير في القرآن لفظا ومعنى.

وأما الورع والزهد فمدحهما والأمر بهما كثير لا باللفظ لكن بالمعنى.

فكل ما في القرآن من ذم الدنيا فهو مدح للزهد، وكل ما فيه من الأمر بالتثبت والتيقن فهو أمر بالورع.

فليتجنب المؤمن العاقل البصير القليل من مشتبهات الأمور، والقليل والكثير من الحرام. وليعلم أن بين يديه حسابًا دقيقًا وحسابًا طويلاً، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦][٢].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦٦).

١٥٢-ما انتصر المحارب في مواطن حربه بمثل التّغوث بمراحم ربّه وتصحيح العزيمة على التوبة من ذنبه.

والمتغوث بالرب محتاج إلى صدق التّوجه واللّجاء، والتّائب من الذنب مفتقر إلى صحبة أهل الورع والتّقى.

وإنما يتمكّن من الورع من هو زاهد في الدنيا، لأن حبّها لا يدعك تتورع مما فيه شبهة، إذا كان في تناوله شهوة[١].

١٥٣-وقد ذكرنا: أنّ أهل طبرستان لا تتزوّج الجّارية منهم حتّى يستظهر بها حولًا كاملًا محرّمًا ثمّ يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ثم يتزوّج بها، ويزعمون مع ذلك أنّهم يجدونها بكرًا، وقد عانقها في إزارٍ واحدٍ سنةً تامةً وهو لا يستظهر بها، ويحتمل وحشة الاغتراب، وانقطاع الأسباب إلاّ من عشق غالب. ولا يجوز أن تؤاتيه الجّارية إلا وبها شبه الذي به. وإنّ من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحافٍ واحدٍ ثمّ يحتجزان عن الزّنا تكرّمًا وتحرّجًا! وهذا التّكرّم عند علوج طبرستان من العجائب[٢].

١٥٤-والعرب تمدح أهل النّحول، وتذمّ أهل السّمن والجسوم، وتنفيهم عن الأدب، وتنسب أهل النّحول إلى المعرفة وحسن البيان، وأهل السّمن إلى الغباوة وبعد الأذهان.

زعموا أن من غلب عليه البلغم غلظ جسمه، وكبر شحمه، وزاد لحمه، وقلّ فهمه، وطال نسيانه، وتعقّد لسانه، لغلبة البلغم على قلبه والرّطوبة على

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦٩).

(٢) «أخبار النساء» (ص٤٨).

لبّه. ومن كان أغلب مزاجه المرة جفّ جسمه، وقلّ لحمه، وصحّ ذهنه، ودقّ فهمه. وأنّه يستدلّ بها على أحسن أدب ذوي الألباب، وصحّة أذهان ذوي الآداب. لا تكاد تخطي به الفراسة، ولا تكذب فيه الدّلالة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه واستقراره في مركبه. وربّما أنجب السّمن، وخاب الهزال. ولا يكون ذلك إلا في الفرد النّادر من الرّجال ومن أمثلة العرب في ذلك: «البطنة تذهب الفطنة»[١].

١٥٥-ويدل على فضل خلاف الهوى تقديم كلب الصيد، وإكرامه على أبناء جنسه؛ وذلك لمكان مخالفته للهوى من حبس ما صاده على صاحبه دون أكله؛ خوفًا من عقوبته أو شكرًا لنعمته[٢].

١٥٦-واعلم أن الإنسان إذا وافق هواه، وإن لم يضره، وجد في نفسه ذلًا لمكان أنه مغلوب، وإذا قهر هواه وجد في نفسه عزًا لأجل أنه غالب. ثم أنت ترى الناس إذا شاهدوا زاهدًا تعجبوا منه وقبّلوا يده، وما ذاك إلا لأنه قَوِي على ترْك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى[٣].

١٥٧-من احتمى عن التخليط بغض البصر، وكف النظر، سلم من هذا المرض-يعني العشق-فإذا لم يحتم حصل عنده من المرض بمقدار تخليطه، فإن تدارك الأمر قبل استحكامه فربما نفع الدواء، وإن تركه إلى أن يستحكم لم ينفعه علاج.

---

(١) «أخبار النساء» (ص٦٢).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٠٠).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٠٣).

واعلم أن مجرد النظر إلى المُستحسن لا يكاد يوجب العشق، وإنما ترداد النظر يحصله، ويعينه قوة الطمع، فيساعده الشباب والشهوة.

فمن أراد العلاج فليبادر به قبل أن يستحكم المرض، وذلك بقطع السبب والصبر في ذلك على المضض، فإن اليأس أعظم دواء. وأقوى معين على ذلك خوف الله تعالى، وزجر النفس الأبِيَّة عن مواقف الذل، وتذكر عيوب المحبوب الباطنة، كما قال بن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها.

ومتى كان المحبوب مقدورًا عليه مباحًا كان الجمع بينهما أعظم الدواء، وإلا فالنكاح في الجملة يخفف المرض، واستجداد الزوجات، واستحداث الجواري، وطول السفر والتفكر في خيانة المحبوب وتجنيه، والنظر في كتب الزهد، وذكر الموت وعيادة المرضى، وزيارة القبور[1].

١٥٨- وقد يقع الشره في جمع المال، وهو من الجنون البارد إذا زاد على قدر الحاجة؛ لأن المال لا يُراد لنفسه، وإنما يُراد لغيره، ولا يُنكر على من جمع مالًا غناءً للنفس، فاستغنى به عن الناس وأغنى أولاده، وبذل بعضه للمحتاجين، إلا أنه لا ينبغي للعاقل بعد حصول المقدار المتوسط من ذلك أن يضيع الزمان الشريف، وأن يخاطر بالروح التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب البحار.

وما أحسن قول الشاعر:

ومن يُنفق الأيام في جمع ماله ... مخافةَ فقرٍ فالذي فعل الفقرُ

وكم قد رأينا وسمعنا عن أقوام يُقترون على أنفسهم في الإنفاق، ويركبون

---

(١) «الطب الروحاني ١٠٥-١٠٦».

مع كبر السن البحار ليربحوا بزعمهم، فهلكوا في أسفارهم، وما بلغوا بعض أغراضهم.

وهذا المرض ينبغي أن يداوى بتلمح المقصود من المال، والموازنة بين حصوله وبين المخاطرة بأنفس نفيس، وهي النفس والوقت، فمن شاور عقله فهم المراد، ومن غلبه مرض الحرص هلك في بيداء الشره[١].

١٥٩-وعلاج البخل: أن يتفكر فيرى أن فقراء بني آدم إخوانه، وقد أُوثر عليهم وأُحوجوا إليه، فليجعل شكر المُنعم مواساة الإخوان، ولينظر في شرف الكرم، وليعلم أنه يَسترق الأحرار إذا أسدى إليهم معروفًا، ويَنهب عِرضه الأشرار إذا بخل، ولْيتيقن أنه سيترك ما في يديه ذميمًا، فليُخرجْ منه قبل أن يُخرجَ عنه[٢].

١٦٠-[ذم الكذب]

هذا من العوارض التي يدعو إليها الهوى، وذلك أن الإنسان لمحبته الرئاسة يؤثر أن يكون مُخبرًا مُعْلمًا؛ لعلمه بفضل المُخبِر على المُخبَر. وعلاج هذا المرض: أن يعلم عقوبة الله للكاذب، وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لا بد أن يُطّلَع على حاله فينقص نقصًا لا يُتلافى، فيربي حياؤه وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم إياه في الصدق، وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه[٣].

١٦١-[دفع الحسد]

---

(١) «الطب الروحاني ١١٠ -١١١).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١١٨).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٢٢).

الحسد تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يَصِرْ للحاسد مثلها، وسبب ذلك حب المِيزَة على الجنس وكراهة المساواة، فإذا حصلت للغير نعمة تميزَ بها تألَّمَ هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود.

وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه في باطنه، ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك، بل يأثم بالتمني لزوال النعمة عن أخيه المسلم.

واعلم أن الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون، وفساد المزاج، ودوام الكَمَد.

قيل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة: ما أطولَ عُمُرَكَ؟

فقال: تركت الحسد، فبقيت.

واعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا، فإنك لا ترى أحدًا يحسد قُوّام الليل، ولا صُوام النهار، ولا العلماء على العلم، بل على الصيت والذكر. وعلاج هذا المرض: أن يعلم الإنسان أولًا أن الأقدار السابقة لا بد أن تجري، وأن الاحتيال في صرف المقدور غيرُ ممكن، وأن القاسم حكيم، ثم هو مالك يُعطي ويَحرِم، فهو الذي خلق الطِّرف السابق والكودن، وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطي سبحانه.

قال بعض الحكماء:

ألا قُـل لمـن كـان لـي حاسـدًا: أتـدري علـى مـن أسـأت الأدب؟!

أسـأت علـى الله في فعلـه لأنـك لـم تـرض لـي مـا وهـب

فجـــازاك عـنـــــي بـــــأن زادني وســـد عليـــك وجـــوه الطلـــب

ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه ولم يأخذ شيئًا من يده، فقصدُ الحاسد زوال ما أعطِيَه ظلم محض.

ثم ينبغي للحاسد أن ينظر في حال المحسود، فإن كان إنما نال الدنيا فقط؛ فهذا ينبغي أن يُرحم لا أن يحسد؛ لأن الذي ناله في الغالب عليه، لا له، وهل فضول الدنيا إلا هموم، كما قال المتنبي:

ذكـــر الفتـــى عمـــره الثـــاني وحاجتـــه مـــا قاتـــه وفضـــول العـــيش أشـــغال

وبيان هذا أن الكثير المال شديد الخوف عليه، والكثير الجواري شديد الحذر عليهن، قوي الاهتمام بهن أو لهن، والوالي خائف من العزل.

ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار، ثم هي قليلة اللبث، والمصائب تُردفُها؛ فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها عنه أو زواله عنها.

ثم لْيوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد، فإن الناس يظنون في أرباب المناصب أنهم في غاية اللذة، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر، فإذا ناله بَرُدَ عنده وصار عادة له، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه، وهذا الحاسد يرى الأمر بعين الجِّدة والغبطة.

ولْيعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الأذى الذي هو فيه.

فإن لم ينتفع بشيء من هذا العلاج فلْيسع في التسبب إلى مثل ما نال المحسود، فقد قال بعض السلف: (لقد خسَّت الهمم حتى في الحسد، كان الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله، أو على العلم سهر

وتعلم، فقد صار الناس يحبون البطالة، ثم يذمون الواصل إلى المعالي.

فإن لم ينل ما نال المحسود، فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه وحبس ما في قلبه[١].

١٦٢-الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس الحاقد، ولعمري أن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل.

فإذا ثبت أن الجميل لا يُنسى فالقبيح كذلك، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب.

وعلاج ذلك: يكون بالعفو والصفح. وللعفو محلان:

أحدهما: رؤية الثواب للعافي. والثاني: شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو، وذلك في منزلة من يهفو.

ومن كمال العفو حصول الرضا، وذلك يمحو ما في القلب.

وههنا علاج أدق من هذا: وهو أن يرى الإنسان أن الذي سُلِّط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه، أو لتكفير خطأ، أو لرفع درجة، أو لاختباره في صبره.

وثَم علاج أدق من هذا: وهو أن يرى الأشياء من المقدر فينمحي أثر السبب[٢].

١٦٣-ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فورته لم يُؤمن أن تبدُر منه نكاية يندم عليها، إما في نفسه أو في المغضوب عليه.

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٢٤-١٢٧).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٣١).

فكم ممن غضب فقتل أو كسر عضو ولده، ثم بقي الدهر نادمًا على ما فعل.

ومنهم من ينكأُ في نفسه، فإن رجلًا غضب مرة فصاح فنفث الدم في الحال وأدى به الأمر إلى السِّل فمات.

ولَكَم رجل رجلًا فانكسرت أصابع اللاكم ولم يستضر الملكوم بكبير ضرر[١].

١٦٤- [دفع الكبر]

الكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير، وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه، إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك. وعلامة الكبر الأنفة ممن ينكر عليه، والاختيال والفخر، ومحبة تعظيم الناس له.

وعلاج ذلك نوعان، جُمْلي وتفصيلي: فأما الجُملي فنوعان: علمي وعملي، فالعلمي: النظر في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر، وأما العملي: فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم.

وأما التفصيلي: فأن ينظر إلى رذائل النفس، وأن يعلم أن ما يتكبر به إن كان مالًا، فهو مأخوذ منه عن قريب، والفضل إنما يكون في الغنيّ عن الشيء لا به، لأن الغني بالشيء فقير إليه، وإن كان علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه، ثم علمه ينهاه عن حالته، فهو حجة عليه.

وكذلك إن كان عملًا، ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقيصة[٢].

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٣٥).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٣٨).

١٦٥-وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بينا آنفًا، وسؤال الغير عن قبائحها ومعايبها، والنظر في أحوال من سبقه إلى ما أُعجب به وبرَّز عليه، فإن عَجب العالم بعلمه فلينظر في سير العلماء، أو بزهده فلينظر في سير الزهاد، فحينئذ لا يَعُد نفسه.

فقد كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث، وكان كهمس بن الحسن يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات، وصلى سلمان التيمي الفجر بوضوء العتمة أربعين سنة.

ومن تأمل سير القوم رأى نفسه فيما حصل بالإضافة إليهم كمن معه دينار يعجب به ولا يدري أن في الدنيا من يملك ألوفًا كثيرة.

قال إبراهيم الخواص العُجب يمنع من معرفة قدر النفس.

وقال بعض الحكماء: عُجب المرء بنفسه أحد حُسَّاد عقله، وما أضر العُجب بالمحاسن[١].

١٦٦- [دفع الرياء]

من عرف الله تعالى حق معرفته أخلص له عمله، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له، وتعظيم قدر الخلق، وإيثار النفس مدحهم وحمدهم، والناس في هذا المرض يتفاوتون، فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح الخلق له.

ومنهم من يريد الله بعمله ويريد مدح المخلوقين.

ومنهم من لا يقصد الخلق أصلًا، فإذا اطلعوا عليه حسَّن العمل وجوَّده

(١) «الطب الروحاني» (ص١٤٣-١٤٤).

ليمدح، فهذه آفة دخلت على عمل صحيح.

وعلاج هذا المرض في الجملة تحقيق معرفة الله سبحانه، فمن عرفه أفرد القصد له ولم ير غيره، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود، لا في مقام معبود ممدوح، ورأى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل فاحترس من تعب ضائع. والعقوبة على الرياء شديدة[١].

١٦٧- [دفع فضول الفكر]

اعلم أن الفكر يراد لاستدراك فارط، والنظر في مصلحة مستقبلة، فإذا كان فيما لا يثمرها كان ضررًا، وإذا كثُر أنهك البدن، قال بُقراط: ينبغي للعلماء أن يتركوا الفكر وقتًا ما لئلا يُنهك أبدانهم.

قلت: ولا يجوز للعاقل أن يُخلي نفسه من الفكر، ولكن يكون فيما يُتصور له نيله، فأما إذا تفكر العامي في أن يكون خليفة، وأن ينال علم أبي حنيفة والشافعي، ثم يجمع بينه وبين زُهد بشر ومعروف الكرخي، ويُحصِّل مثل مال عبد الرحمن بن عوف؛ فهذه أفكار تُضني وتُردي، خصوصًا إذا قَنع بالفكر واستعمل الكسل عن الطلب.

وإنما ينبغي أن يتفكر فيما تصل إليه قدمه، ويُطمع لمثله فيه من الخير، ويتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر، فقد تفكر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا وكثير من الملوك في غرور الدنيا فتزهدوا[٢].

١٦٨-وأقوى علاجه-يقصد الحزن- أن يعلم أنه لا يرد فائتًا، وإنما يَضُم

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٤٥).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٥١).

إلى المصيبة أخرى فتصير اثنتين، والمصيبة ينبغي أن تُخفف عن القلب وتُدفع، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقَلاً، قال بن عمر: (إذا استأثر الله بشيء فالْه عنه) ثم في الخلف عن الفائت ما يُسلِّي، فإن عدم ما يُسَلِّي اجتهد في صرف ذلك في قلبه، وليعلم أن الداعي إلى الحزن الهوى لا العقل؛ لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع، ولْيعلم أنه سيَسْلُو بعد حين، فليجتهد في تقديم المُؤخر، ولْيرتح ما بين الزمانين.

مما يمحق الحزن: العلم بأنه لا يُفيد، والإيمان بالثواب، ويذكرُ من أصابه أكثر مِن مصيبته[1].

١٦٩- [دفع فضول الغم والهم]

الغم يكون للماضي، والهم للمستقبل، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفريطه؛ لأنه يثاب عليه. ومن اهتم بعمل خير نفعتهُ همته. فأما إذا اغتم لمفقود من الدنيا، فالمفقود لا يرجع، والغم يُؤذي، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى، كما قلنا في الحزن.

وينبغي للحازم أن يحترز مما يجلب الغم، وجالبه فقد المحبوب؛ فمن كثرت محبوباته كثر غمه ومن قللها قل غمه.

فإن قال قائل: إذا لم أجد محبوبًا اغتممت؛ قيل له: صدقت، ولكن لا يبلغ غمك بالعُدم معشار عُشير غمِّ من فَقَد المحبوب، ألا ترى أن من لا ولد له يغتم، ولكن لا كغمِّ من أُصيب بولده.

ثم أن الإنسان كلما طال إلفُه لما يُحبه واستمتاعه به تمكن من قلبه، فإذا

(١) «الطب الروحاني» (ص١٥٥).

فقده أحس من التألم في لحظةٍ لفقده بما يزيد على لذات دهره المتقدم. وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس؛ كالصحة فلا تجد النفس لذتها عند وجودها، وفقدها مناف لها، ولذلك تألم بالفقد ما لا تفرح بالوجود؛ لأنها ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها، فينبغي للعاقل تقليل الألفة.

فإن اضطر إلى جوالب الغم، فأثمرت الغم، فعلاجه في الأول: الإيمان بالقدر، وأنه لا بد مما قضي، ثم يعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر، فالبناء إلى النقض، والجمع إلى التفرق، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان كمن رام وجود ما لا يوجد، فلا ينبغي أن يُطلب من الدنيا ما لم تُوضع عليه، كما قال الشاعر:

طُبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الأقذاء والأكدار

ثم لْيصور ما نزل به مُضاعفًا فيهون عليه حينئذٍ ما هو فيه، ومن عادة الحمَّال الحازم أن يترك فوق حمله شيئًا ثقيلًا، ثم يمشي خطوات، ثم يرمي به فَيخِف الأمر عنه، ثم لْيرتقب زمن العافية هجوم البلاء، فإذا هجم ما يكرهه لم ينكره. وليتمثل كل ما يَتصور نزوله نازلًا، فإذا نزل بعض ذلك كان ما لم ينزل به ربحًا، مثل أن يتصور أن يُؤخذ منه ماله كله؛ فإذا أخذ البعض عدَّ الباقي غنيمة، ويتصور أن يعمى، فإذا رمد سهل الأمر، وكذلك جميع المضرات.

وقد يقع الهم والغم من غلبة السوداء، فيعالج بما يزيل السوداء وبالمفرحات، والغم يُجمد الدم، والسرور يُلهب الدم حتى تعلو حرارته الغريزية، وجميعًا يضران وربما قتلا إن لم يُعجل تفتيرهما[1].

١٧٠- [دفع فضول الخوف والحذر من الموت]

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٥٦-١٥٩).

الخوف والحذر إنما هما للمستقبل، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه، ونفي فضول الخوف مما لا بد منه؛ إذ لا ينفعه خوفه منه.

وقد اشتد الخوف من الله تعالى بكثير من الصالحين حتى سألوا الله تعالى تقليل ذلك، والسبب في سؤالهم أن الخوف كالسوط، فإذا أُلِحَّ بالسوط على الناقة تلفت. وإنما يُؤدب به المتوانى[١].

١٧١- ولا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض، فإنه نازل لا بد، وخوف ما لا بد أن يأتي زيادة أذى.

فأما الخوف من الموت والفكر فيه، فإنه لا سبيل إلى دفعه عن النفس، وإنما يخفف الأمر العلم أنه لا بد منه، فلا يفيد الحذر إلا زيادة على المحذور، وكلما تصورت شدته كانت كل تصويره موتًا، فليصرف الإنسان فكره عن تصور الموت؛ ليكون ميتًا مرة لا مرات، ويكون صرف الفكر ربحًا.

وليعلم أن الله تعالى قادر على تهوينه إذا شاء، وليوقن بأن ما بعده أخوف منه؛ لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة، وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الموت ليعمل له، لا لنفس تَصَوِّره وتمثيله.

فإن خطر على القلب الحزن على فراق الدنيا، فعلاج ذلك أن يعلم أنها ليست بدار لذة، وإنما لذاتها راحة من مُؤلم، ومثل هذا لا يُنافس فيه؛ فإن حزن العاقل على فراق الدنيا لفوت العمل الصالح، فقد كان السلف يحزنون لذلك.

قال معاذ بن جبل عند موته: «اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكَرْي الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر،

(١) «الطب الروحاني» (ص١٦٠).

ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر)[١].

١٧٢- من حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه، ومن راقب الله في خطراته حرسه الله عند حركات جوارحه.

فأما من ضَيَّع في صحته، فإنه يُضيع في مرضه، كما نقل عن بعض الصحابة أنه رأى شيخًا يطلب من الناس، فقال: هذا ضيع أمر الله في صغره، فضيعه الله في كبره[٢].

١٧٣- والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدِلَ الحزن، فأما إذا أفرط فإنه دليل على الغفلة القوية، إذ لا وجه للفرح عند العاقل، فإنما يفرح بالطبع لما يُفَرِّح، ثم يَذْكر مصيره وخوف مآله فيَنمحي ذلك الفرح، ومتى قَوِيَت غفلة الفرح حملت إلى الأشر والبطر. ومن هذا قوله تعالى:

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[القصص:٧٦] يعني: الأشرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر.

وعلاج شدة الفرح: بالفكر فيما قد سلف من الذنوب، وفيما بين يدي العبد من الشدائد، وقد قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا؛ فلم يترك لذي لب بها فرحًا[٣].

١٧٤- وعلاج الكسل: تحريك الهمة بخوف فوات الفضل، أو بالوقوع في عقاب اللوم، أو بالحصول في بَيْد التأسف؛ فإنَّ أسف المُفرط إذا عاين أجر

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٦١).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٦٣).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٧٠).

المجتهد أعظم من كل عقاب.

وليفكر العاقل في سوء مغبة الكسل، فرب راحة أوجبت حسرات وندمًا. ومن رأى جاره قد سافر ثم عاد بالأرباح زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافًا. وكذلك إذا برع أحد الرفيقين في العلم، وتكاسل الآخر. والمقصود أن ألم الفوات يُربي على لذة الكسل.

وقد أجمع الحكماء على أن الراحة لا تُدرك بالراحة، فمن تلمح ثمرة الكسل اجتنبه، ومن مد بصر فطنته إلى ثمرات الجد نَسيَ مشاق الطريق.

ثم إن اللبيب يعلم أنه لم يخلق عبثًا، وإنما هو في الدنيا كالأجير أو كالتاجر. ثم إن زمان العمل بالإضافة إلى مُدة البقاء في القبر كلحظة، ثم إضافة ذلك إلى البقاء السرمدي إما في الجنة وإما في النار ليس بشيء. ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين، فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح، وتارك الاستلاب وقت النثار.

قال فرقد، قال: إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نَقِيّين، وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل[1].

١٧٥- [تعريف الرجل عيوب نفسه]

اعلم أن النفس محبوبة، وعيوب المحبوب قد تخفي على المُحب، وفي الناس من يقوي نظره وجهاده للنفس، فينزلها منزلة العدو في المخالفة، فتظهر له عيوبها. قال إياس بن معاوية: من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق، فقيل له:

(١) «الطب الروحاني» (ص١٧٣-١٧٤).

فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام، وهذا أمر نادر، والعمل على الغالب، فإن الغالب أن تخفي على الإنسان عيوب نفسه. ولسنا نريد أنه لا يَعرف عيبًا، فإن العاقل إذا أتى عيبًا عرفه، وإنما غرضنا العيوب الباطنة، فإنها كالأمراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب، فيصف لها دواءً ولا عليها إمارة، ومحبة الإنسان لنفسه تمنعه أن يرى العيب الخفي عيبًا، كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقد روي أن رجلًا صحب رجلًا، فلما أراد أن يُفارقه، قال له: أخبرني عن عيوبي، فقال: سل غيري فإني كنت أراك بعين الرضا[1].

١٧٦- إذا كانت الهمة الدنية طبعًا لم ينجع فيها العلاج، فإن كانت مكتسبة بصُحبة الأدنياء، أو لغلبة الطبع والهوى، فعلاجها قريب. وذلك من وجوه منها:

مقاطعة أهل الدناءة أَنَفَة منهم، ومواصلة أرباب الهمم العالية. ثم التفكر بالعواقب ومآل الدناءة، ومصير أولي الجد والاجتهاد، كما قال عبد الصمد: رأيت رجلا من السُّعاة، وقد بقي له شوط، والناس يقولون له: مُت اليوم تحيا أبدًا. فانتبهت بها.

ومن تفكر في المرتفعين الهمم علم أنهم كَهُو من حيث الأصل والآدمية، غير أن حب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه، فسار وهو قاعد، ولو حرَّك قدم العزم لوصل، قال الشاعر:

إذا أعجبتك خصال امرئٍ ... فكُنه يكن منك ما يُعجبك

فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يَحجبك

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٧٥-١٧٦).

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء، وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالي ومن الضعفاء وأهل الحرف الدَّنية، إلا أن الهمم أثَّرت فأثارت عن مواطن الكسل.

ولو تفكر أرباب الهمم الدَّنية في عواقبها وما تجني عليهم لرأوا البطالة عدوًّا، وإنما صحبوا دناءة الهمة تعجلًا للراحة، ولَما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل والسقوط من أعين الناس والإهوان بهم أعظم من كل كرب وشدة.

وما يناله أرباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة ينسي مرارة كل نصب. فكأنه ما تعب من استراح، ولا استراح من تعب[(١)].

١٧٧- ومن سيب هواه في مرعاه، وجعل حبلَه على غاربه، فقد خرج عن مركزه، فصار أخس من البهائم؛ لأن تلك تمضي بطباعها. وهذا قد خالف طبعه، ومتى أفرطت القوة الغضبية تلك خرج الإنسان إلى أخلاق السباع الضَّواري، فينبغي أن يروض نفسه بمخالفة الشهوانية، ويكسر الغضبية، ويَتْبع القوة الناطقة حتى يتشبه بالملائكة، ويتحرز من عبودية الشهوة والغضب[(٢)].

١٧٨- واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجِدّ جَدَّت، وإذا عرفتْ منك التكاسل طمعتْ فيك، كما قال الشاعر:

ويَعرف أخلاق الجبان جواده فيجهدُهُ كَرًّا ويُرهقه ذُعرا

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٧٨-١٧٩).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٨٢).

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول، ومحاسبتها في كل تقصير وذنب، فإذا تمت رياضتها حَمِدت ما ذمَّت من تعبها.

قال ثابت البناني: كابدت الليل عشرين سنة، وتنعَّمت به عشرين سنة.

وقال أبو يزيد: ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك.

وفي هذا المعنى قول الشاعر:

مـــا زلـــت أبكـــي كلمـــا نظـــرت ... إلـــى مـــن اختضـــبتْ أجفانهـــا بـــدمِ

وبعد هذا؛ فلا ينبغي أن ينسى حقها، فإن من حقها إعطاءها حظوظها التي لا تقدح في مقصود الرياضة، فإنها إذا مُنعت مقاصدها في الجملة عميَ القلب، وتشتت الهم، وتكلف التعبد.

واعلم أن قدر النفس عند الله سبحانه أعظم من قدر العبادات.

ولهذا أباح الفطر للمسافر، وإنما يعقل هذا العلماء[1].

١٧٩- [ذكر رياضة الأولاد]

أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعَه فنشأ عليه ومَرَن كان رده صعبًا، كما قال الشاعر:

إن الغصـــون إذا قومتَهـــا اعتـــدلت ... ولا يلـــين إذا قومتَـــه الخشـــب

قـــد ينفـــع الأدب الأحـــداث في مَهَـــل ... ولـــيس ينفـــع في ذي الشـــيبة الأدب

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم، خصوصًا في حق الصبيان، فإن ذلك

(١) «الطب الروحاني» (ص١٨٤-١٨٥).

يفيدهم أن يصير الخير عادة لهم، كما قال الشاعر:

لا تسـه عن أدب الصغير وإن شكا ألم التعبْ
ودع الكبير لشأنه كَبَر لكبير عن الأدب[١]

١٨٠- وينبغي أن يتلطف بالصبي، قال رجل لسفيان الثوري: نضرب أولادنا على الصلاة؟ قال: «بل ارشُهُم». وكان زبيد اليامي يقول للصبيان: «من صلى منكم فله خمس جوزات». وقال إبراهيم بن أدهم، «قال لي أبي: أي بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا فلك درهم، فطلبتُ الحديث على هذا»[٢].

١٨١- وليعلم الوالد أن الولد أمانة عنده فليُجنبه قرناء السوء من الصغر، ولا يُعوده التنعم، وليُلق إليه الخير؛ فإن قلبه فارغ يقبل ما يلقى إليه، وليحبب إليه الحياء والسخاء، وليبادر بأخبار الصالحين وليجنبه أشعار الغزل؛ لأنها بذر الفساد، ولا يُمنَع من أشعار السخاء والشجاعة، ليَمجُد ويُنجِد.

ويمنع من كثرة الأكل والنوم، ويعود الخشونة في المطعم والمفرش؛ فإنه أصح لبدنه، ويعالج بالرياضات الجسمانية كالمشي، ويؤدب بالنهي عن استدبار الناس، والامتخاط بينهم والتثاؤب؛ فإذا عَلِقت به خلة قبيحة بولغ في ردعه عنها قبل أن تتمكن.

ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللُّطف، فقد قال لقمان لابنه: «يا بني ضرب الوالد للولد مثل السماد للزرع».

وإذا رآه عَرِمًا في صغره فليلطف به، فقد قال ابن عباس: «عرامة الصبي

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٨٦).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٨٨).

زيادة في عقله»[١].

١٨٢- وكان الحكماء يقولون: ابنك ريحانتك سبع سنين، وخادمك سبع سنين، فإن صار ابن أربع عشرة سنة، فإن أحسنت إليه فهو شريكك، وإن أسأت إليه فهو عدوك.

ولا ينبغي أن يُضرب بعد بلوغه، ولا أن يُساء إليه، لأنه حينئذ يتمنى فقد الوالد ليستبد برأي نفسه، ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيدٌ صلاحه إلا أنَّ الرفق متعين بالكل[٢].

١٨٣- وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها، ومن خروجها من بيتها واطلاعها من روْزنةٍ، وأن تكون عنده عجوز تؤدبها، وتُلقّنها تعظيم الزوج، وتعرفها حقوقه وتُعظم قليل الإنفاق عندها، وتكون كالحافظ، فإن عقل الصِّبا مأفون.

ومن رُزق امرأة على مراداته فلْيهبْ ما فات لما حصل؛ فإن الأصول إذا كانت محفوظة لم تذكر الفروع، وكثرة النساء تحتاج إلى مُؤنات عظام، أقلهن حفظهن[٣].

١٨٤- ومن أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت، خصوصًا إن كان حسن الصورة وفي البيت نسوة، فإن الشر لا يُؤمن، فإن سلمن من ميلٍ إليه، لم يسلم هو من ميل. وكذلك من باب المخاطرات ترك الولد البالغ بين

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٨٨-١٨٩).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٨٩-١٩٠).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٩٢-١٩٣).

الجواري. ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبا يُنسيان مقدار الحرمة والتحريم.

فهذه أصول ينبغي أن تداوى بدوائها ولا تُمهل؛ فإنها تجر أمورًا صعبة[١].

١٨٥- [معاشرة الناس ومداراتهم]

لما كانت طباع الناس تختلف، كانت مداراتهم لذلك صعبة؛ فأصلح ما استعمل العاقل العزلة عنهم مهما أمكن؛ فإنها راحة عظيمة.

فإذا اضطر إلى مخالطتهم خالطهم بالتلطف، وإيفائهم الحقوق، وإهمال حقه عليهم، والحلم عن جاهلهم، والعفو عن ظالمهم، وإيثار مُتكبرهم بالمجلس.

ومن أعظم ما يملكهم به السماح والعطاء، فإنه يَسترق به من لم يكن ينقاد، وقد جاء في الحديث «مداراة الناس صدقة»[٢].

١٨٦- وإذا ابتليَ العالم بمخالطة العوام، فينبغي أن يلبس جُنَّة الحذر؛ فإن أغراضهم مختلفة، يُرضي أحدهم ما يُسخط الآخر، ويغضب من الصواب؛ لأنه يراه خطأ، ولا يَقبل مع جهله أقوال العلماء.

فليبعُد العالم عنهم ما استطاع؛ فإن مخالطتهم تشينه وتنقص من مقداره في أعينهم، فيهون علمه عندهم. ولو رآه عامي يضحك أو يأكل أو سمع أنه قد تزوج لم يبق له عنده قدر.

فالحذر الحذر منهم؛ فإنهم قتلة الأنبياء.

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٩٥).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٩٦).

فإذا اضطر إلى مجالستهم فليُقلل الكلام معهم، وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه، ولا فيه احتمال لما لا يصلح لخطابهم، وبعد هذا فالسلامة منهم طريقُة[١].

١٨٧- يا قَارِئ يا تالي بمن تعوذ، بِمن تلوذ، بِمن تستغيث، بِمن تستجير، بِمن تَسْتَنْصِر، بِمن تعتصم، بِمن تحتمي بِمن تستكفي إِلَّا بِالله؟[٢]!

١٨٨- اعْلَمُوا عباد الله أَن الله تبارك وتعالى قَالَ فِي مُحكم التَّنْزِيل على لِسَان مُحَمَّد رَسُوله عليه السلام ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الْحَشْر ٩]، وَمن هُوَ بخيل شحيح فَلَيْسَ بواق وَلَا مُفْلِح[٣].

١٨٩- الْكَرم من أَخْلَاق الْملك الْكَرِيم، فَمن تعلق بِهِ فقد أَسخط الشَّيْطَان الرَّجِيم.

وَدَلِيل هَذَا: أَن الله تبارك وتعالى لم يبْعَث نَبيا قطّ إِلَّا وَهُوَ كريم، وَلَا رَأَيْتُمْ عبدا صَالحا إِلَّا وَهُوَ كريم.

فالكرم من أَخْلَاق النَّبِيين وَالصديقين، وَهُوَ من أَخْلَاق رب الْعَالمين، فاستعملوه بَيْنكُم يَا معاشر الْمُؤمنِينَ وَالْمُؤْمِنَات، يَا أمة مُحَمَّد خَاتم النَّبِيين[٤].

١٩٠- أخي، اعْلَم أَن من تعوذ بِالله من الشَّيْطَان الرَّجِيم فقد ثَبت على الدّين القويم، وَذَلِكَ أَن الله سُبْحَانَهُ أخبر عَن إِبْلِيس اللعين، قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٩٧).

(٢) «بستان الواعظين» (ص٤٤).

(٣) «بستان الواعظين» (ص٥٦).

(٤) «بستان الواعظين» (ص٥٦).

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الْأَعْرَاف ١٦]؛ وَذَلِكَ أَنه-لعنه الله تَعَالَى- قَاطعُ طَرِيق الدّين، كَمَا أَن اللُّصُوص قطاع لطريق الدُّنْيَا على الْمُسلمين، فإبليس- لَعنه الله- قَاطع طَرِيق العقبى ليصدكم عَن الْحق وَالْهدى، فَإِذا استعذت مِنْهُ هرب مِنْك، فلم يقدر على قطع طَرِيق الدّين[1].

١٩١- اعْلموا عباد الله، أَن الله تبارك وتعالى سمى الْإِنْسَان ضَعِيفا، وَقَالَ فِي آيَة أُخْرَى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النِّسَاء ٧٦] والضعيفان إِذا اقتتلا وَلم يكن لوَاحِد مِنْهُمَا معِين؛ لم يظفر بِصَاحِبِهِ، فَأمر الله الْإِنْسَان الضَّعِيف أَن يَسْتَعِين بالرب اللَّطِيف من كيد الشَّيْطَان الضَّعِيف ليعصمه مِنْهُ ويعينه عَلَيْهِ، ومن كَانَ فِي معونته الْإِلَه الْعَظِيم لم يضرّهُ كيد الشَّيْطَان الرَّجِيم، ومن كَانَ فِي معونته الْملك الْوَهَّاب؛ لم يضرّهُ كيد الشَّيْطَان الْكذَّاب، ومن كَانَ فِي معونته الْملك القهار لم يضرّهُ كيد الشَّيْطَان الْفرَّار، ومن كَانَ فِي معونته الْملك الرَّحْمَن؛ لم يضرّهُ كيد الشَّيْطَان:

العَبْد فِي كنف الْإِلَه وَحفظه ... من كل شَيْطَان غوى سَاه

إِن عاذ بالرحمن عِنْد صباحه ... وكذاك إِن أَمْسَى بِذكر الله[2]

١٩٢- اعلم يا أخي، إِن الله تَعَالَى لما قبّح صُورَة إِبْلِيس ولعنه، وشوَّه خِلقته وأوحش هيئته وقامته؛ لطف بعباده؛ حَيْثُ ستره عَنْهُم؛ حَتَّى لَا تستوحش قُلُوبهم إِذا أبصرته عيونهم؛ وَلذَلِك جعل الْمولى جَلَّجَلَالُهُ السَّمَاء مَوضِع نظرهم، وزينها بعلامات الرسوم، وحفظها من الشَّيْطَان الرَّجِيم برواصد

---

(١) «بستان الواعظين» (ص٦٠).

(٢) «بستان الواعظين» (ص٦٢).

النُّجُوم، فَكَأَنَّهُ قَالَ سُبْحَانَهُ: يَا عبَادي، لَا يصلح لأبصاركم مَا كَانَ مشوهًا قبيحًا، بل يصلح لَهَا مَا كَانَ مزينا مليحا.

هَذِه مُعَامَلَته ﷻ مَعَ جَمِيع النَّاس فِي الدُّنْيَا؛ فَأولى أَن يلطف بِالْمُؤْمِنِينَ فِي العقبى، يصون أَبْصَارهم عَن النّظر إِلَى النَّار الْكُبْرَى وَهِي الْجَحِيم، ويكرمها بِالنّظرِ إِلَى الدَّار المزيّنة وَهِي جنَّة النَّعيم.

أعوذ بِالله من مُخَالفَة الْأَحْكَام.

أعوذ بِالله من التَّمَادِي فِي الآثام، أعوذ بِالله من مَعْصِيّة السَّلَام، أعوذ بِالله من عَذَاب الغرام.

فَجعل الله تَعَالَى السَّمَاء المزينة فِي الدُّنْيَا مَوضِع نظرك، وَجعل الْجنَّة المزينة فِي العقبى مَوضِع ترَغُّبك، فَإِذا ستر الله تَعَالَى إِبْلِيس الملعون فِي الدُّنْيَا وغيَّبه عَن بَصرك؛ لِئَلَّا يستوحش قَلْبك بقبح صورته، فَأولى أَن يستر أعمالك القبيحة من الآثام والفساد من الفضيحة يَوْم التناد، على رُؤُوس الأشهاد[1].

١٩٣- يَا ابْن آدم مَا اغترارك بِمن إِلَيْهِ اضطرارك؟ وَمَا احتقارك بِمن إِلَيْهِ افتقارك؟!

يَا ابْن آدم إِن كنت بِالنَّهَارِ هائما وبالليل نَائِما مَتى تُرْضي من كَانَ بِأَمْرك قَائِما؟!

يَا ابْن آدم توكل على الْملك الخلاق، الَّذِي يتكفل بقسمة الأرزاق، توكل يَا أخي عَلَيْهِ، وَأسْندَ أمورك إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يملكهَا غَيره[2].

---

(١) «بستان الواعظين» (ص٦٥-٦٦).

(٢) «بستان الواعظين» (ص٧١).

١٩٤- قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة:١] هَذِه السُّورَة مَكِّيَّة محكمَة بالوعد والوعيد، يُخوف الله تبارك وتعالى بهَا عباده وَيذكرهُمْ فِيهَا تزلزل الأَرْض، وَقيام السَّاعَة؛ لِيَنْتَهُوا عَمَّا نَهَاهُم عَنهُ من الْعِصْيَان، ويمتثلوا مَا أَمرهم بِهِ من الطَّاعَة وَالْإِيمَان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يَوْم الْقِيَامَة ليستعدوا لَهَا ولعظيم أهوالها، فقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ يَقُول إِذا تحركت الأَرْض بِأَهْلِهَا فتزلزلت من نَوَاحِيهَا، وارتجت من مشرقها وَمَغْرِبهَا، فَلَا تزَال كَذَلِك حَتَّى يُكسر مَا على ظهرهَا من جبل وَبِنَاء، فَلَا تسكن حَتَّى يدْخل فِي بَطنهَا جَمِيع مَا خرج مِنْهَا.

وزلزلتها من شدَّة صَوت إِسْرَافيل عليه السلام[1].

١٩٥- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ ففي تبديلها قولان:

أحدُهما: أنَّ الْأَرْضَ التي يُحَاسَبُ العِبَادُ عليها هي أرضٌ من فِضَّةٍ بيضاء، لا جَبَلَ فيها ولا بِنَاءَ، ولا بِحَارَ، ولا أنهارَ، ولا أشجارَ، ما سفِك عليها دمٌ، ولا عُصي اللهُ تعالى عليها، يأتي بها الله تعالى من غامِضِ علمِه، ويقول لها: كوني فتكون، وقد أُضرم تحتها النِّيران، وتكون هذه الأرضِ في عِظَم تلك الأرضِ مِثلَ الشَّعرة البيضاءِ في الثَّور الأسود.

وقد قيل: إِنَّ تبديلَ الأرضِ هدمُ مبانيها، وغورُ مياهِها، وانقطاعُ أشجارِها، وتسجيرُ بحارِها، وتسييرُ جبالِها، وتبديلُ السماء، وتكوير شمسِها وقمرِها، وانكدارُ نجومِها، وتعطيلُ أفلاكِها وتَشَقُّقُها، فهذه تبديلُ الأرض والسموات،

---

(١) «بستان الواعظين» (ص٧٥).

والله أعلمُ بحقيقة ذلك[١].

وقد قيل فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر ٢١-٢٢].

هو تحريكها، وقيل: دكًّا: إذهابًا.

سُئِلَ بعض الْعلمَاء عَن معنى تكْرَار هَاتين الْكَلِمَتَيْنِ «دكا دكا» وَ«صفا صفا» فَقَالَ: تدكدك الأَرْض دكا بعد دك؛ أَي: تحرّك مرّة بعد أُخْرَى حَتَّى لَا يبْقى عَلَيْهَا أثر من بِنَاء أَو جبل أَو شجر، وَقَوله: ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تَأتي الْمَلَائِكَة صفا بعد صف، كل ملك قد شُغل بِنَفسِهِ؛ لعظم مَا يرى من ظُهُور الْأَهْوَال[٢].

---

(١) «بستان الواعظين» (ص٩٦).

(٢) «بستان الواعظين» (ص٩٩).

ثانيًا: الفوائد القصيرة:

١٩٦- عَجَبًا كيف تبقى الأرواح في الأشباح عند ذكر الملك الفتّاح[١].

١٩٧- السَحَرُ ربيعُ الأحباب، وريحُ الربيع عبير، إذا جالت رياح الأسحار في صحراءِ التعبّد حملت أرائج أزاهر القلوب[٢].

١٩٨- لولا مرارة البُعد ما نال حلاوة التلاقي

فلولا البُعد ما حُمِدَ التداني ولولا البينُ ما طابَ التلاقي[٣]

١٩٩- إذا جنّ الليل فعلّق على قطار المتهجدين، وزاحم زمرة المستغفرين، فإن هتف لسانُ العتاب أطلتَ الغيبة عَنّا، فَقل بلسان التذلل:

ما كنتُ أعرفُ ما مقدار وصلكُمْ حتى هجرتَ وبعضُ الهجر

٢٠٠- إنْ لم يكن لك مركبٌ فاجلس على دكة الاستغفار؛ عساك تُدركُ عسكرَ الليل قبل العتمة فيسهم لك مع القوم[٥].

٢٠١- إخواني! إياكم والذنوب فإنها أذلّت أباكم بعد عزّ ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤]، وأخرجَتْهُ من إقطاع ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ [البقرة:٣٥][٦].

---

(١) «المنثور» (ص٣٩).

(٢) «المنثور» (ص٤٢).

(٣) «المنثور» (ص٤٥).

(٤) «المنثور» (ص٤٩).

(٥) «المنثور» (ص٥٣).

(٦) «المنثور» (ص٦٢).

٢٠٢- يا مَرْضَى الذنوب داووها بالاستغفار[١].

٢٠٣- تبعدون عَنّا ونرسل إليكم مسائل هل من سائل، هل من مستغفر، هل من تائب، وتُذنبون فيأتيكم منّا عذرٌ، لو لم تُذنبوا لأتى اللهُ بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم.

تشـــاغلتُمُ عنّـــا بصـــحبة غيرنـــا وأظهـرتُمُ الهجـران مـا هكـذا كُنـا

وأقسمتموا أن لا تحولوا عن الهوى فقد وجـلال الله حلـتم ومـا حلنـا[٢]

٢٠٤- من كان واثقاً بالسلامة فرح بفَكَ باب السجن[٣].

٢٠٥- يا واقفاً في الصلاة بجسده والقلبُ غائب، أتدري بين يدي من أنت قائم؟ أتدري من اطلع عليك ما يصلح ما بذلتَه من التعبد مهرًا للجنة فكيف ثَمَنًا للمحبة[٤]؟

٢٠٦- الفرار أيها المكلف كل الفرار من مواصلة الجرائم والأوزار، فالصبر على الطاعة في الدنيا أيسر من الصبر على النار[٥].

٢٠٧- يا هذا، أتدري ما صنعت؟ بعت القرب بالبعد، والعقل بالهوى والدين بالدنيا[٦].

---

(١) «المنثور» (ص٦٥).

(٢) «المنثور» (ص٦٦).

(٣) «المنثور» (ص٧٤).

(٤) «المنثور» (ص٨٥).

(٥) «بحر الدموع» (ص٢٠).

(٦) «بحر الدموع» (ص٢٥).

٢٠٨- يا أخي كم من يوم قطعته بالتسويف؟ وكم من سبب أضعت فيه التكليف، وكم أُذن سمّاعة لا يزجرها التخويف[١]؟

٢٠٩- إخواني: انتبهوا من غفلتكم، فنوم الغفلة ثقيل، وشمّروا لآخرتكم، فإنما الدنيا منزل، وفي طريقها مقيل[٢].

٢١٠- كم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام[٣].

٢١١- يا أخي، إياك والدنيا، فان حبل الدنيا مبتوت، واقنع منها بالقوت، واعلم أنك تموت[٤].

٢١٢- رافق رفاق التائبين قبل أن تنقطع مع المنقطعين ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل:٧٥][٥].

٢١٣- ضيّعت الشباب في الغفلة، وعند الكبر تبكي على زمان الشباب. في المجلس تبكي على الفائت، وإذا خرجت عدت للانتهاب[٦].

٢١٤- يا من تحدّثه الآمال، دع عنك هذه الوساوس، متى تنتبه لصلاحك أيها الناعس، متى تطلب الأخرى، يا من على الدنيا ينافس. متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن كل مؤانس، يا من قلبه قد قسا وجفنه ناعس[٧].

---

(١) «بحر الدموع» (ص٤٢).

(٢) «بحر الدموع» (ص٤٧).

(٣) «بحر الدموع» (ص٥٢).

(٤) «بحر الدموع» (ص٦٢).

(٥) «بحر الدموع» (ص٦٩).

(٦) «بحر الدموع» (ص٧٧).

(٧) «بحر الدموع» (ص١٠٤).

٢١٥- فبالله يا إخواني بادروا بالمتاب، وراجعوا أنفسكم قبل يوم الحساب[١].

٢١٦- يا معشر المذنبين جدّوا قبل الرحيل عن الأجساد[٢].

٢١٧- إذا أنذرك المشيب بالرحلة، ولم تقدّم الزاد ماذا يكون الجواب.

ليت شعري أهل المعاصي كيف عيشهم يطيب ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ [سبأ ٥١].

٢١٨- يا مضيّعا عمره في العصيان؟ بادر قبل تغيّر الحال، فتعود بالخيبة والخسران، واعص من لامَك وخالف من عذلك، وأطع من نصحك، ودع قالا وقيلا.

﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧١- ٧٢][٣].

٢١٩- تحفظ رحمك الله من سهام الشيطان-يقصد النساء[٤].

٢٢٠- قال بعض أهل العلم: الغيبة تنقض الوضوء، وتفطّر الصائم.

وكان بعض الفقهاء يعيد الوضوء من الغيبة.

وقيل: مثل صاحب الغيبة كمثل من نصب منجنيقا، فهو يرمي به حسناته

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٤٠).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٤٣).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٤٠).

(٤) «بحر الدموع» (ص١٤٤).

يمينًا وشمالًا، وشرقًا وغربًا[١].

٢٢١- إيّاك يا أخي والتعرّض للأقدار، وأن تغتاب أحدًا بما أودع فيه الجبار، فان المولى جَلَّجَلَالُهُ أعلم به، وأحكم ولو شاء لأهلكه وانتقم[٢].

٢٢٢- واعلم أنه لا يجري في هذا العالم أمرٌ إلا وللمولى فيه حكم وتدبير[٣].

٢٢٣- النجاة من الْهَلَاك فِي ركُوب سفينة الْكتاب وَالسّنة، والفوز فوز من زحزح عَن النَّار وادخل الْجنَّة[٤].

٢٢٤- من كَانَ مُقَيّد الْجَوَارِح عَن محارم الله فَهُوَ رَأس الْخَائِفِينَ[٥].

٢٢٥- الزاهد العابد الَّذِي قد أقبل على ربه، واعرض عَن شهوات نَفسه: فَهُوَ فِي الدُّنْيَا حبيب الْقُلُوب والأرواح، وَفِي الآخرة مَبْعُوث فِي زمرة أهل الْفَوْز وَالصَّلَاح[٦].

٢٢٦- انْظُر الى آثار رَحْمَة الله، كَيفَ يحيي الارض بعد مَوتهَا، وملبسها قبل ليل بهجتها بعد سلبها وفوتها، كَذَلِك ينظر إلى الْقُلُوب الْميتَة فيحييها، وإلى المهج الصادية فيرويها[٧].

٢٢٧- سبحوا بِحَمْد الْكَبِير المتعال، وَاسْتَدلُّوا بقدرته على إحياء الارض

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٥٩).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٦٠).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٦٠).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٧).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص٣١).

(٧) «التذكرة في الوعظ» (ص٣٩).

الْمَوَات، إنه قَادر على إخراج الأموات بعد الشتات[١].

٢٢٨- برد الْعَزِيمَة يُؤثر فِي الأعمال والنيات، كَمَا يُؤثر برد الشتَاء فِي ناضر النَّبَات.

برد الْعَزِيمَة يَجْعَل الْعَامِل عاطلًا والنابه خاملًا.

فَإِن لم يكن بُد من الفتور عَن طلب الْخيرَات فاضعُف عَن السَّيِّئَات ضعفك عَن الْحَسَنَات[٢].

٢٢٩- شَرِيعَة رَسُول الله ﷺ سفينة مَأْمُونَة، من اعْتصمَ بركوبها نجا، ومحجة من سلك طريقها وصل إلى نيل المنى لأنه ﷺ مؤيد بالعصمة فَمَا ينْطق عَن الْهوى[٣].

٢٣٠- عَسى الله الَّذِي أخْرُج الْوَرق من الشّجر الْيَابِس، أن ينقلنا عَن الأحوال المبغوضة إلى أحوال رضية، ويبدلنا بهمِّ الدُّنْيَا الدنيَّة هممًا عليَّة، فطالما أغاث المجدبين عِنْدَمَا قحطوا، وَأنْزِلْ الْغَيْث من بعد مَا قَنطُوا[٤].

٢٣١- يَا من قد عَاشَ فِي الإسلام بُرْهَة من الزَّمَان فِي سَماع الحَدِيث النَّبَوِيّ وَالْقرَآن أيْنَ آثَار ذَلِك فِي أعمالكم وأحوالكم[٥].

٢٣٢- وَكلما توفر نصيب الْعَالم من الْعلم اشْتَدَّ حذره[٦].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٠).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٤١).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٣).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٣).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٦).

٢٣٣- انتهز فرصة الزَّمَان قبل تعذر الإمكان، قبل أن تُنقل من اسْم مَا زَالَ إلى خبر كَانَ[١].

٢٣٤- إن بَين العَبْد وَبَين ربه مَسَافَة لَا تقطع إلا بِقطع العلائق، ورفض الْعَوَائِق، وعَلى مرْآة الْقلب صدأ لَا يجلوه إلا نِسْيَان الْخلق فِي جنب ذكر الْخَالِق[٢].

٢٣٥- الذّكر لله لَهُ شَرْطَانِ:

حُضُور الْقلب فِي تحريره، وبذل الْجَسَد فِي تكثيره.

فإن أحببت أن تكون فِي الراسخين الأقدام فِي هَذَا الْمقَام، فحرر الذّكر على الإحسان وكثِّره بِقدر الإمكان[٣].

٢٣٦- لقد حَاز الْمُنْقَطع إلى الله كنوز الْغنى، وفاز الطَّالِب من الله بُلُوغ المنى[٤].

٢٣٧- ذهب الزاهدون بالراحة، وَحصل العابدون على المثوبة، وَنَجَا الورعون من المناقشة، وتحضر المتقون من الْعقُوبَة، وفاز المتقربون من الْقرب، والقرب من الله نظام رغائب الطالبين، وَغَايَة مطَالب الراغبين[٥].

٢٣٨- مُخَالفَة الأمر توجب سخط الْآمِر، والإصرار على الْمُخَالفَة أعظم مِنْهَا.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٤٨).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٥٠).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٥٩).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٠).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٢).

ما أسرع الْعقُوبَة إلى المسارع إلى الْمعْصِيَة، وما أبعد الْفَلاح عَمَّن لَا تؤدبه الْعقُوبَة[١].

٢٣٩-كَيفَ يطْمع فِي الزِّيَادَة من هُوَ مضيع للشكر، وَكَيف تدوم التَّوسعَة لقوم كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم[٢].

٢٤٠- فَهَل نَنْتَظِر بعد لطيف العتاب إلا عنيف الْعقَاب[٣].

٢٤١- لَا تمسك عَن النَّفَقَة فِي طَاعَة الله فَمَا يَلِيق بِالْمُؤمنِ إمْسَاك، لقد شهد الْقُرْآن بِأَن الممسكين عَن الْإِنْفَاق قد ألقوا بِأَيْدِيهِم إِلَى الْهَلَاك[٤].

٢٤٢- وَالله لَو أن مُؤمنا عَاقِلا قَرَأَ سُورَة الْحَدِيد، وَآخر سُورَة الْحَشْر، وَآيَة الْكُرْسِيّ، وَسورَة الإخلاص بتفكير وتدبر؛ لتصدع من خشيَة الله قلبه، وتحير فِي عَظمَة الله لُبُّه[٥].

٢٤٣- فالويل ثمَّ الويل لمن هُوَ عَن تَعْظِيم الله غافل، وبصفاته الْعلية جَاهِل، وَفِي أثواب الْمعْصِيَة رافل، مصر على الْخَطَايَا غير ثَابت وَلَا آفل[٦].

٢٤٤- الْخَيْر كُله فِي مُتَابعَة الرَّسُول، وَالْبركَة فِي حفظ كَلَامه الْمَنْقُول[٧].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٥).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٥).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٦٥).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٢).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٤).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص٧٧).

(٧) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٤).

٢٤٥- لَو بكينا على نفوسنا حَتَّى تجْرِي السفن فِي دموعنا، مَا بلغنَا مَا يُوجِبهُ سوء صنيعنا.

اخترنا مَا يفنا على مَا يبْقى، وَاخْتَارَ أَوْلِيَاء الله مَا يبْقى على مَا يفنا، يَا طول حسرات الغافلين، يَا فرط ندمات المفرطين[١].

٢٤٦- قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**ملعونة هِيَ الدُّنْيَا مَلْعُون مَا فِيهَا إِلَّا ذكر الله وعالما ومتعلما**»[٢].

كَيفَ لَا تكون الدُّنْيَا ملعونة وَهِي عَن ذكر الله شاغلة؟ وَلمن نظر إِلَيْهَا فاتنة، وَلمن ركن إِلَيْك قاتلة، ولمن استصحبها غاشة وَلمن استنصرها خاذلة[٣].

٢٤٧- اجْتهد أَن تكون مِمَّن يُحِبهُ الصالحون فِي الله، فَإِن عجزت فَكُن مِمَّن يحب الصَّالِحين فِي الله، وَلَا تكن الثَّالِث تكن من الممقوتين[٤].

٢٤٨- فَمن عزم على سلوك طَرِيق الْجنَّة، فليجعل دَلِيله عُلُوم الْكتاب وَالسّنة، وَإِنَّمَا يَهْتَدِي بِالْعلمِ لمراد قَائِله خَبِير، فَلهَذَا ألزم أَئِمَّة السلوك الِاشْتِغَال بعلوم التَّفْسِير[٥].

٢٤٩- أَين البطّال من الأبطال؟،

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٦).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٨).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٣).

متى يدرك الأطْفال مساعي الرِّجال؟[١]

٢٥٠- إِنَّمَا يقدر على الْوَفَاء بِعَهْد يَوْم الْمِيثَاق من كَانَ سليما من النِّفَاق!

من نسي عهود ربه فقد استحوذ الشَّيْطَان على قلبه.

من خَالف سنة نبيه فقد نظمه الشَّيْطَان فِي حزبه[٢].

٢٥١- قل للعاملين لغير الله: يَا عظم خسرانكم!

وَقل للواقفين بِغَيْر بَاب الله: يَا طول هوانكم!

وَقل للآملين لغير فضل الله: يَا خيبة آمالكم!

وَقل للعاملين لغير وَجه الله: يَا ضَيْعَة أَعمالكُم[٣]!

٢٥٢- ما احترس الْإِنْسَان من غوائل الشَّيْطَان بِمثل نهي النَّفس عَن الْهوى، وَلَا اسْتَعَانَ على قمع هوى النَّفس بِمثل الزّهْد فِي الدُّنْيَا[٤].

٢٥٣- واغوثاه بِالله من ثقل هَذَا الرماد، مَا أخوفنا أَن تستمر غفلتنا إِلَى يَوْم التناد[٥].

٢٥٤- أعظم الْأَسْبَاب فِي توليد الْغَفْلَة أَمْرَانِ:

أَحدهمَا: امتلاء الْبُطُون.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٦).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٧).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٨).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠١).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠٢).

وَالْآخر: معاشرة الباطلين.

فَعَلَيْك بِالْجُوعِ وَالْعُزْلَة إِن أردْت الْعتْق من رق الْغَفْلَة[١].

٢٥٥- إِذا أردْت أَن يعتزلك النَّاس فاصمت عَن محادثتهم، فَإِن أَكثر مواصلات النَّاس بَينهم بالْكلَام فَمن صمت عَنْهُم اعتزلوه[٢].

٢٥٦- من لم يكن شغله بِأَمْر آخرته، وَلَا مصلحَة دُنْيَاهُ فَشَغلهُ فضول[٣].

٢٥٧- بِذكر الله تستنير الْقُلُوب وتحيا، فَكل غافل عَن ذكر الله فَهُوَ فِي ظلام.

اللَّيْل أغشى وَلَو أشرقت لعَينه شموس الضُّحَى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور:٣٥] فَلهَذَا لَا تستنير إِلَّا الْقُلُوب الَّتِي هِيَ بِذكرِهِ ملأي[٤].

٢٥٨- الْمعاصِي سلسلة فِي عنق العَاصِي، لَا يفكه مِنْهَا إِلَّا الاسْتِغْفَار وَالتَّوْبَة[٥].

٢٥٩- لَا تطعموا فِي وجدان حلاوة الذّكر، وقلوبكم مَشْغُولَة بوسواس الْفِكر، كَيفَ يكون حبيب الرَّحْمَن من هُوَ للشَّيْطَان سمير، كَيفَ يطْمع فِي الْوُصُول من لَا يجد فِي الْمسير[٦].

٢٦٠- الدُّعَاء بَاب من الْأَبْوَاب المدخلة على الْعَزِيز الْوَهَّاب، وَطَرِيق من الطّرق الموصلة إِلَى ذَلِك الجناب، ووسيلة من أنجح الْوَسَائِل، ورسالة من

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠٢).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٠٢).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٤).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٦).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص١١٨).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص ١١٨).

العَبْد إِلَى حَضْرَة الرب من أبلغ الرسائل، فَإِن كَانَ مدادها الدمع السَّائِل، فَهُوَ الدُّعَاء الْوَاصِل[١].

٢٦١- مُتَابعَة الْكتاب منقذة من الْعَذَاب، وتعظيم الحرمات مخرج من الظُّلُمَات، ورعاية الْأَدَب رفْعَة فِي الرتب.

لَوْلَا الْعلم لَكَانَ الْإِنْسَان بَهِيمَة، وَلَوْلَا اللطف لكَانَتْ البلية عَظِيمَة، فاسألوا الله لطفة فِي جَمِيع الْأَحْوَال، وَليكن تَعْظِيم الْقُرْآن مِنْكُم على بَال؛ فبوجود اللطف وَعَدَمه سعد من سعد، وشقي من شقي، وبالتقصير لَقِي المقصر ما لقي[٢].

٢٦٢- وَكم فِي خلال تدابير ذِي الْجلَال من حكم جلية وألطاف خفْيَة[٣].

٢٦٣- إِن أبلغ مَا بلَّغه واعظ إِلَى موعوظ، وأنفع مَا هُوَ بالألسنة ملفوظ، وَفِي الصُّدُور مَحْفُوظ، كَلَام من كل شيء تَحت قدرته مقهور، وبرعايته ملحوظ[٤].

٢٦٤- إِن أشفي الْكَلَام لصدور السامعين، بعد كَلَام رب الْعَالمين، كَلَام من كَانَ نَبيا وآدَم بَين المَاء والطين[٥].

٢٦٥- أَيهَا النَّاس: احرصوا على دَرك مَا فَاتَ، وهيهات أَن يدْرك الْفَائِت هَيْهَات، كل وَقت لَهُ وَظِيفَة، فَمن فَاتَتْهُ وظائف الْأَوْقَات، فعمره كُله فَوَات،

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٤٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٥٣).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٥٩).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٢).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٤).

وَنعم الله عَلَيْهِ معرضة للآفات[١].

٢٦٦- إِذا استحوذت الْغَفْلَة فقد استحكمت الشقوة.

كَرَاهِيَة العَبْد لِقَاء الرب دَلِيل على أَلا خبية بَينه وَبَينه.

لَو انْتَبَهت من رقادك، لوصلت إِلَى مرادك، وَلَو أيقنت بمعادك لاستكثرت من زادك[٢].

٢٦٧- أطول النَّاس حسرة وأوجعهم كسرة، عبد قربه مَوْلَاهُ، ولاطفه وصافاه، فعزه ذَلِك الْأنس والاقتراب، فأحل بِمَا يلْزمه من محَاسِن الْآدَاب، فنفضته يَد الْإِنْكَار نفضة أبعاد، فَأَصْبح مطرودا إِلَى يَوْم التناد[٣].

٢٦٨- كلما عظم الْأَمر اسْتحق السّتْر.

كَمَا قَالَ بَعضهم:

أغـــار عَلَيْـــهِ إِن صـــرح باســـمه ... فَكيـــف إِذا مَـــا لَاحَ يَوْمًـــا جمالُـــه

ويطويـــه قلبِـــي عَـــن لســـاني صِـــيَانة ... وكـــل نَفِـــيس لَا يَلِيـــق ابتذالـــه[٤]

٢٦٩- يا من أفرح لَهُم الهجر قلبه، قُم إِلَى طلب الْوِصَال.

وَيَا من قد أثقل الأوزار ظهره، اطرَح عَنْك هَذِه الأثقال.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٧).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٧٨).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٢).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١٩١).

رَاجع الْمَعْهُود، وراع العهود، واغسل بحلاوة الْوَصْل مرَارَة الصدود[١].

٢٧٠- أكذب الرَّجَاء رَجَاء أهل الْإِسَاءَة، وأسوأ الْجَزَاء جَزَاء أهل الْمعْصِيَة، وأمقت الْخلق إِلَى الله عبد مسيء فِي عمله معجب بِنَفسِهِ[٢].

٢٧١- اجْتهد أَن تتوب قبل أن تَمُوت، فَمَا أعْسر خلاص من لَقِي الله مصرا على ذَنبه.

إِذا لم يَتَيَسَّر لَك ترك جَمِيع الذُّنُوب فاترك الْكَبَائِر والمظالم، فَإِن الصَّلَاة وَالصِّيَام والاستغفار تكفر مَا سوى ذَلِك من المأثم[٣].

٢٧٢- نافسوا فِي اقتناء النفائس، فَإِنَّمَا يجني أحدكُم مَا هُوَ الْيَوْم غارس.

كم من فَارس الْيَوْم وَهُوَ غَدا راحل، وَكم من راحل الْيَوْم وَهُوَ غَدا فَارس[٤].

٢٧٣- من عمل بِالظَّاهِرِ الْمُعْتَاد، وأهمل الْبَاطِن المُرَاد، فَلَيْسَ هُوَ من أولي الْأَلْبَاب؛ لِأَنَّهُ اشْتغل بالقشر عَن اللّبَاب[٥].

٢٧٤- إِلَى مَتى أكلا وشربا ونوما؟ فقد آن أن تذيبوا شحوم الرَّاحَة والشبع صَلَاة وصوما؛ فَكل مَا أنتم فِيهِ عَمَّا قَلِيل زائل، وَلَو كَانَ دَائِما لَا يَزُول فَهُوَ بطائل، وَلَا لَهُ حَاصِل[٦].

٢٧٥- أَيْن أَنْتُم عَن مخاوف الْبر الرَّحِيم فِي جنَّات النَّعيم؟

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٤).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٧).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٧).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٧).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٩).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٩).

أَيْن أَنْتُم من لَذَّة الْمُنَاجَاة إِذا أرْخى سدوله اللَّيْل البهيم؟ يَا لَهَا لَذَّة مَا ذاقها إِلَّا ذُو فطن هضيم، وقلب سليم ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت:٣٥](١).

٢٧٦- واعلم أنه كأن لم تكن شدة إذا كان بعدها فرج، وما أطيب حلاوة التوسعة إذ يشتد الحرج(٢).

٢٧٧- هب أنك لهوت زمن الشباب، وعذرك في سهوك وأوقات غفلتك، فما عذرك اليوم في اللهو؟ قد زجرك الإسلام والشيب عن الغفلة والعطلة والخوض واللغو.

تب إلى الله واتخذ الطاعات قربا، وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا(٣).

٢٧٨- ما أجهل من أعرض عن سماع القرآن، وأصغى إلى مزامير الشيطان(٤).

٢٧٩- ارحموا هذه الأنفس المسكينة، وأكرموها عن الدنيا المهينة ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠](٥).

٢٨٠- كان في ظل الحياة راقد فأيقظته رقدة الموت، وكان عن سماع النصح متصامم، فأسمعه الصوت، أطار النوم من عينيه، وأزال الشكر من رأسه، صرعه

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٢٩).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٣٦).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٣٩).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٠).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤١).

يوم الوعيد ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق:٢٢][(١)].

٢٨١- أيها الساكن في دار القلعة والرحيل، أيها الضاحك في موطن البكاء والعويل، لا تركن إلى دار الغرور، فليس لعاقل إليها ركون ولا عليها تعويل، أما سمعت نعتها بالقلة في محكم التنزيل ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧][(٢)].

٢٨٢- جناب الله أعلى مرتقى من أن يبلغه الراقي باستفراغ جهده، وجنة الله أعلى قيمة من أن يمتلكها المشتري بثمن من عنده[(٣)].

٢٨٣- لولا سقم العقائد لبنت منا القواعد، أما القول فقائم، وأما العمل فقاعد، وأما الهوى فمستيقظ، وأما العقل فراقد[(٤)].

٢٨٤- العمر يمر مر السحاب، ما مرّ منه لا يعود، وما تبقى للذهاب، والمهلة تخدع خدع السراب، والذاهب ليس له إياب، والموعود يوم الحساب[(٥)].

٢٨٥- لو لم يكن فيما أوجد الله من بدائع آياته إلا هذا الزمان وتصرف أوقاته، فأجيلوا هذه الأفكار في مرور هذا الليل والنهار، واعتبروا بما فيهما، ففيهما لأولي الأبصار اعتبار[(٦)].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٢).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٤).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٦).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٤٨).

(٥) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٥٥).

(٦) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٥٧).

٢٨٦- لا تذهب عن باب مولاك، فما للعبد عن باب مولاه مذهب، لا تركب غير سفينة الكتاب والسنة، فما لطالب السلامة بسواهما مركب[١].

٢٨٧- هَل أَنْتَ مِمَّنْ إِذا وعظ أَصغَى وَاسْتَمَع؟ وَبِمَا فَهِمَ مِنَ الحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ انتَفَع؟ أَم أَنْتَ مِمَّنْ هَمَّهُ النوم والشبع؟ إِذا جَاءَهُ النَّهَارُ رَعَى وَرَتَع، وَإِذا جَاءَهُ اللَّيلُ التف وَاضطَجَع[٢].

٢٨٨- وهل وُكِس جاه، أو ذَل عزيز، أو صيد طائر، إلا بموافقة الهوى.[٣]

٢٨٩- فالعاقل من نظر في مقدار إقامته، وتلمَّح بيت نُقلتَه، فحينئذ يقنع من الثياب بما يُواريه، ومن البنيان ما يُؤويه[٤].

٢٩٠- فهؤلاء فهموا أن الدنيا مفازة، والمفازة لا تتوطن؛ فمن فاته العلم بهذا مرض مرض الشره، وعلاجه النظر في العلم، والتأمل بسير العلماء العقلاء[٥].

٢٩١- وينبغي لمن أحب الولاية أن يعلم أنه إنما يتخايلها عظيمة ما لم ينلها، فإذا نالها هانت عنده وسما إلى غيرها، فاللذة تزول، والأوزار تبقى، والمخاطرة بالنفس والدين؛ فالتفكر في هذه الأشياء علاج[٦].

٢٩٢- وينبغي للمريض ما دام ثابت العقل أن يتوب؛ ليلقى الله طاهرًا من كل

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦٥).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٢٦٨).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٠٣).

(٤) «الطب الروحاني» (ص١١٢).

(٥) «الطب الروحاني» (ص١١٣).

(٦) «الطب الروحاني» (ص١١٤).

ذنب، وأن يُجرد وصيته، وأن يُسلم أهله وولده إلى الله ﷻ؛ فإنه يتولى الصالحين[١].

٢٩٣- من حقق الإيمان لم يحزن؛ لأن مآل المؤمن إلى الخير، ومن لم يُحقق الإيمان، فليحزن لفقد التحقيق[٢].

٢٩٤- ثم يرى أن أقرب ما تقرب به العلم والعمل، فيجتهد في إكمالها على غاية ما يُطيق منهما بدنه، وتنهض النية والعزيمة بحمل الباقي[٣].

٢٩٥-التعوذ بِالْقُرْآنِ هُوَ الشِّفَاء من آفَات الشَّيْطَان[٤].

٢٩٦-اعلم يا أخي أَن العَبْد إِذا اعْتصمَ بِحَبل السُّلْطَان الْمَخْلُوق سلم من شَرّ الظَّالِمين؛ فأحرى أَن يسلم المستعيذ بِرَبّ الْعَالمين من الشَّيْطَان الْعَدو اللعين[٥].

٢٩٧-الاستعاذة أحصن حصن لدين الْمُؤمن من كيد الشَّيْطَان الرَّجِيم، وأحرز حرز لقلب المؤمن من وسواس الْعَدو اللَّئِيم[٦].

٢٩٨-عباد الله: احْذَرُوا مَكَائِد الشَّيْطَان؛ فَإِنَّهُ عَارِف بالعيوب، بَصِير بإلقاء العَبْد فِي الذُّنُوب، لَهُ طرق كَثِيرَة إِلَى الصُّدُور، فاستعيذوا من شَره بمولاكم علام الغيوب[٧].

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٦٨).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٦٨).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٩).

(٤) «بستان الواعظين» (ص٤٣).

(٥) «بستان الواعظين» (ص٤٤).

(٦) «بستان الواعظين» (ص٤٨) .

(٧) «بستان الواعظين» (ص٥٣).

ثالثًا: منقولاته:

٢٩٩- كان أحد المتعبدين يجتهد في العبادة وكُلّما ذكر الله وصلّى يلوم نفسه ويقول: عدمتك يا قلب ما أقساك؛ أصبحتَ وأمسيتَ لعظمة الله ناسيًا، إلَهي كيف لي بالقرب منك وقاسي القلب بعيد عنك؟

ليتَ شعري مَا الذي نلتُ أنا ... ليلةً أبرم فيها أمرنا

هل رضاني سيّدي عبدًا له ... أو رماني حين اَلفتُ الخنا

ودعاني أمْرُهُ عن إذنه ... عبدُ سَوءٍ أنْتَ لم تصلح لنا

هكذا يا عبد سوءٍ هكذا ... بعدما واصلتنا قاطعتنا

قد دعوناك فما عجلت لنا ... واختبرناك فما أعجبتنا[1]

٣٠٠- قال الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت أعبد لله تعالى من سريّ السّقطي، أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رؤي قط مضطجعا إلا في علته التي مات فيها.

قال الجنيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت السريّ السقطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لولا الجمعة والجماعة ما خرجت من بيتي، وللزمت بيتي حتى أموت[2].

٣٠١- كان أبو محفوظ معروف الكرخي قد خصّه الله بالاجتباء في حال الصبا، يُذكر أن أخاه عيسى قال: كنت أنا وأخي معروف في المكتب، وكنا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان: «أب» و«ابن» فيصيح أخي معروف: «أحد

---

(١) «المنثور» (ص٥٧).

(٢) «بحر الدموع» (ص٢٩).

أحد» فيضربه المعلم على ذلك ضربا شديدا، حتى ضربه يوما ضربا عظيما، فهرب على وجهه.

وكانت أمه تبكي وتقول: لئن ردّ الله عليّ معروفا، لأتبعنّه على أي دين كان، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة، فقالت له: يا بنيّ، على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، فقالت: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فأسلمت أمي وأسلمنا كلنا[١].

٣٠٢- يروى عن محمد بن قدامة، قال: لقي بشر بن الحارث رجلا سكران، فجعل السكران يقبله، ويقول: يا سيدي أبا نصر، ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما تولى تغرغرت عينا بشر بالدموع، وقال: رجل أحبّ رجلا على خير توهّمه فيه، ولعل المحبّ قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله.

فوقف على أصحاب الفاكهة، فجعل ينظر، فقلت: يا أبا نصر، لعلك تشتهي من هذا شيئا؟ قال: لا، ولكن نظرت في هذا؛ إذا كان يطعم هذا لمن يعصيه، فكيف من يطيعه ماذا يطعمه في الجنة ويسقيه؟[٢]!

٣٠٣- قال الحسن: من أطلق طرْفَه، كثر ألمه[٣].

٣٠٤- قيل للحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها؟ فقال: خلوا بالرحمن، فألبسهم نورا من نوره[٤].

٣٠٥- يُروى عن الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ

(١) «بحر الدموع» (ص٣٨).
(٢) «بحر الدموع» (ص٤٠).
(٣) «بحر الدموع» (ص٥٢).
(٤) «بحر الدموع» (ص٧٨).

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]، فقال: هذه موعظة وعظ الله بها المسلمين، وذلك إن الحور العين تقول لولي الله، وهو متكئ على نهر العسل وهي تعطيه الكأس، وهما في سرور ونعيم: أتدري يا حبيب الله متى زوجنيك الله ربي؟ فيقول: لا أدري. فتقول: نظر إليك في يوم صائف بعيد ما بين الطرفين وأنت في ظمأ الهواجر، فتباهى بك الملائكة، وقال: أنظروا يا ملائكتي إلى عبدي، ترك شهوته ولذته، وزوجته وطعامه وشرابه رغبة فيما عندي، أشهدكم أني قد غفرت له، فغفر لك يومئذ وزوجنيك[١].

٣٠٦- وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لغلمانه: إن أردتم النكاح نكحتم، أي تزوّجتم، فإن العبد إذا زنى، خرج الإيمان من قلبه فلا يبقى للعبد إيمان.

وقال لقمان لابنه: إياك والزنى، فإن أوله مخافة، وآخره ندامة، ومن بعد تلقى آثامه.

وأنشدوا:

يا من خلا بمعاصي الله في الظلمِ ... في اللوح يكتب فعل السوء بالقلمِ

بها خلوت وعين الله ناظرة ... وأنت بالإثم منه غير مُكتتمِ

فهل أمنت المولى من عقوبته ... يا من عصى الله بعد الشيب والهرم

واعلم أن من غلبه هواه افتضح، فما نال الكرامات من نالها إلا بغلبة الهوى[٢].

٣٠٧- عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى أنه قال: إذا رأيت قساوة في قلبك،

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٤٧).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٤٦).

أو وهنا في بدنك، أو حرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيّ، من رحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن يفعل الشر يأثم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وأنشدوا:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يقتلنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال بعض الحكماء: احبس لسانك قبل أن يطول حبسك، وتتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبسٍ من اللسان ليقصر على الصواب ويُسرع إلى الجواب[١].

٣٠٨- قال حاتم الأصمّ: ثلاثة إذا منّ في مجلس فالرحمة مصروفة عنه: ذكر الدنيا، والضحك، والوقيعة في الناس[٢].

٣٠٩- قال بعض الحكماء: النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك فقد نقل عنك، والسّاعي بالنميمة كاذب لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به.

قال الشاعر:

احفظ لسانك لا تؤذي به أحدًا ... من قال في الناس عيبا قيل فيه

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٥٢).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٥٧).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٥٨).

٣١٠- قال الأصمعي: شاهدت أعرابية وهي توصي ابنها، فقالت: يا بنيّ، أمنحك وصيّتي وبالله التوفيق، فإياك والنميمة، فإنها تورث العداوة بين الأهلين، وتفرّق بين المُحبين، وإياك والتعرّض للعيوب، فتصير لها أهلا، وإيّاك والجود بدينك، والبخل بمالك، ومثل لنفسك مثالا من غيرك، فما استحسنته من الناس فافعله، وما استقبحته منهم فاجتنبه، فان المرء لا يرى عيب نفسه.

ثم أمسكت، فقلت: يا أعرابية، بالله إلا زدتيه، فقالت: يا حضريّ، أعجبك كلام العرب؟ فقلت: أي والله.

فقالت: يا بني، إياك والغدر فانه أقبح ما تعامل به الناس، واجمع بين السخاء والعلم، والتواضع والحياء، وأستودعك الله، وعليك السلام[1].

٣١١- قال الفقيه أبو الحسن علي بن فرحون القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المعروف «بالزاهر»، كان لي عم، وتوفي في مدينة فاس سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فرأيته بعد ذلك في المنام وهو داخل عليّ في داري، فقمت إليه ولاقيتُه بقرب الباب، وسلمتُ عليه، ودخل ودخلت خلفه، فلما توسّط في البيت، قعد واستند بظهره إلى الجدار، فقعدت بين يديه، فرأيته شاحب اللون متغيّرا، فقلت له: يا عمّاه، ماذا لقيت من ربك؟ قال: ما يلقى من الكريم يا بنيّ، سمح لي في كل شيء إلا في الغيبة، فإني منذ فارقتُ الدنيا إلى الآن محبوس فيها، ما سمح لي بعد فيها، فأنا أوصيك يا بنيّ: إيّاك والغيبة والنميمة، فما رأيت في هذه الدار شيئا أشد بطشا وطلبا من الغيبة. وتركني وانصرف.

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٥٨).

وأنشدوا:

يمـــوت كـــل الأنـــام طُـــرّا ... مـــن صـــالح كـــان أو خبيـــثِ

فمســـــتريح ومســـــتراح ... منـــه كمـــا جـــاء في الحـــديثِ

وإيّاك يا أخي والغيبة والنميمة، فإنهما يضرّان بالدين، ويحبطان عمل العاملين، وتورث العداوة بين المسلمين، أعاذنا الله منهم[1].

٣١٢- ذُكر أنه حضر بعض النحويين في مجلس ابن شمعون الواعظ، وكان من الزهاد، فكأن النحويّ أخذ على الشيخ لحنا في لسانه، وغلطا في كلامه، فانقطع عنه النحويّ، ولم يأت إلى مجلسه، فكتب إليه ابن شمعون: أراك من الإعجاب رضيتَ أن تقف دون الباب، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلى بعض المتأدبين. كتب إليه: من اعتمد على ضبط أقواله، لحن في أفعاله، إنك رفعت وخفضت وجزمت، وتهت وانقطعت.

ألا رفعت إلى الله جميع الحاجات؟ ألا خفضت صوتك عن المنكرات؟ ألا نصبت بين عينيك ميزان الممات، أما علمت أنه لا يقال غدا للعبد: لمَ لمْ تكن مُعربا وإنما يقال له: لم كنت مذنبا.

يا هذا، ليس المرغوب الفصاحة في المقال، وإنما المرغوب الفصاحة في الفعال. ولو كانت الفصاحة محمودة في المقال دون الفعال، لكان هارون أولى بالرسالة من موسى عليهما السلام، قال الله تعالى إخبارا عن قول موسى: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]. فجُعلت الرسالة لموسى

(١) «بحر الدموع» (ص١٦١).

لفصاحة أفعاله، والله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

٣١٣- روي أن رجلا نظر إلى بشر بن منصور السليمي رضي الله تعالى عنه وهو يطيل الصلاة، ويحسن العبادة، فلما فرغ قال له: لا يغرّنك ما رأيت مني، فإن إبليس -لعنه الله- عبد الله آلافا من السنين ثم صار إلى ما صار إليه.

فمن سعادة المرء أن يقرّ على نفسه بالعجز والتقصير في جميع أفعاله وأقواله.

قيل المهلكات أربع هي: أنا، ونحن، ولي، وعندي[٢].

٣١٤- قال أبو الدرادء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتَهم لم يتركوك، وإن هربتَ منهم أدركوك، فالعاقل من وهب نفسه وعرضه ليوم فقره، وما تجرّع مؤمن جرعة أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من غيظ كظمَه، فاعفوا يُعزكم الله، وإياكم ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام[٣].

٣١٥- قال بعض الزاهدين: اغتنموا من زمانكم خمسا: إن حضرتم لم تُعرفوا، وإن غبتم لم تُفقدوا، وإن شهدتم لم تُشاوروا، وإن قلتم شيئا لم يُقبل قولكم، وإن عملتم شيئا لم تغبطوا به. وأوصيكم بخمس أيضا: إن ظلمتم لم تُظلموا، وإن مُدحتم لم تفرحوا، وإن ذُممتم لم تجزعوا، وإن كُذِّبتم لم تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا[٤].

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٧٢).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٧٢).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٧٢).

(٤) «بحر الدموع» (ص١٧٤).

٣١٦- قال بعض أهل العلم: الدنيا حلالها حساب، وحرامها عقاب، والحرام داء لا دواء له إلا الفرار للرحمن من أكله[١].

٣١٧- قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه: الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها أكل الحلال، فإذا لم يكن في المفتاح أسنان، فلا يفتح الباب، وإذا لم تفتح الخزانة كيف يتوصل إلى ما فيها من الطاعة.

فصن لُقمتَك، وأطب طُعمتَك حتى يتبين لك مبيض صالح العمل من مسود خيط الأمل من فجر الأجل، ثم أتم صيام الجوارح عن حرام طعام الآثام إلى ليل القيام، فتفطر على فوائد موائد ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[الحاقة:٢٤][٢].

٣١٨- قيل، كان رجل بالبادية لبَّان يخلط اللبن بالماء، فجاء السيل، فذهب بالغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات، فصارت سيلا، ولسان الجزاء يناديه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ [الحج:١٠].

واعلم أن السرقة والخيانة أمران مهلكان ضارّان بالدين[٣].

٣١٩- سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن تارك الصلاة على صحة البدن: هل يقبل منه التوحيد؟ قال: من لا صلاة له لا توحيد له، ومن لا صلاة له، لا زكاة له، ومن لا صلاة له، لا صيام له. قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٧٨).

(٢) «بحر الدموع» (ص١٧٩).

(٣) «بحر الدموع» (ص١٨١).

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم:٥٩].

وغيّا واد في جهنم لا يدخله إلا تارك الصلاة.

قال ابن عباس: أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن الصلاة، فان قبلت منه، قبل سائر عمله[١].

٣٢٠- وقال ابن عقيل: عندي أن ما لم تتحرك الشهوة بالنظر إليه في العادة لا يعطى حكم العورات.

قال: «ولا تباح خلوة النساء بالخِصيان ولا بالمَجبوبين، لأن العضو وإن تعطل أو عُدِمَ، فشهوة الرجال لا تزول من قلوبهم، فلا يُؤْمَن التمتع بالقُبَل وغيرها، وكذلك لا تباح خلوة الفحل بالرتْقاء من النساء لهذه العلة».

قال ابن عقيل: ووجدت لبعض المُفرعين من العلماء تفريعًا مليحًا.

قال: وإذا كان الحيوان البهيم مما يَشتهي النساء أو تشتهيه النساء، فقد قيل: إن القرد إذا خلا بالمرأة أو رآها نائمة طلب جماعها، وفي بعض النساء الشَّبِقات من ربما دعته إلى نفسها.

فعلى هذا ينبغي أن تُصان الدور التي فيها النساء عن إدخال مثل ذلك الحيوان![٢]!

٣٢١- قال الحربيّ: حدّثنا الهيثم بن خارجة، قال: حدّثنا الحسن بن يحيى، عن صدقة، عن مُهرة-امرأة وهب الكتّاني-، قالت: دخلنا على عائشة، فقالت:

---

(١) «بحر الدموع» (ص١٨٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١٧٨).

لعلّكنّ من النساء اللاتي يدخلن الحمّامات؟

قلنَ: نعم.

فدعت جاريةً لها، فأخرجتنا إخراجًا عنيفًا[١].

٣٢٢- قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنا أكره أن يَنظر من أمه وأخته إلى ساقها وصدرها[٢].

٣٢٣- إذا خرجتِ المرأةُ: لم تُسَلِّم على الرجال أصلًا.

أخبرنا المحمدانِ: ابن ناصرٍ وابن عبد الباقي، قالا: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: حدّثنا أبو نعيم الحافظ، قال: حُدِّثت عن أبي طالب ابن سوادة، قال: حدّثنا علي بن عثمان النُّفيلي، قال: حدّثنا هشام بن إسماعيل العطّار، قال: حدّثنا سهل بن هاشم، عن إبراهيم بن أدهم، عن الزُّبيدي، عن عطاء الخراساني، يرفع الحديث، قال: «**ليس للنساءِ سلامٌ، ولا عليهنَّ سلامٌ**».

قال الزبيدي: «أُخِذَ على النساءِ ما أُخِذَ على الحيّات، أن يتحجّرنَ في بُيُوتهنَّ».

وقد رُويَ عن أحمد بن حنبلٍ: أنه كانَ عندَهُ رجلٌ من العُبّاد، فعطست امرأةُ أحمد، فقال لها العابد: يرحمكِ الله، فقال أحمد: عابدٌ جاهل.

وبلغني عن امرأةٍ من القدماء: أنه كان إذا طُرِقَ عليها الباب، وليسَ عندها

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١٧٤).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص١٨١).

أحد، وضعتْ يدها على فمها وتكلّمت، لِيَخرجَ كلامها مُنزعجا لا يَفتن[١].

٣٢٤- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (ألا تستحون أو تغارون؟! فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يُزاحمن العلوج)[٢].

٣٢٥- المرأة إذا كانت داية تُرضع ولد غيرها، استباحتْ الفطر، كما يستبيح المُسافر في المُضاربة.

ذكره ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

٣٢٦- قال مسافر بن عوف لعلي بن أبي طالب وهو في سفر: لا تَسِر في هذه الساعة؛ لأنك إن سِرْت فيها أصابك وأصحابك بلاء، وإن سِرت في الساعة التي آمرك بها ظفرت.

فقال علي: ما كان لمحمد مُنجم، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حَسَبْت علمت.

قال: من صَدّقك بهذا القول كَذّب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان:٣٤] والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم لأُخَلِّدنَّك الحبس[٤][٥].

٣٢٧- بلغنا أن بعض الملوك رأى امرأة في صحراء فسامها نفسها، فقالت:

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢١٥-٢١٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٢٢).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٢٤٧).

(٤) أخرجه الحارث في «المسند» (٥٦٤).

(٥) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٠١).

أيها الملك، إن المرأة مطبوعة على أربعة أجزاء من الإنسانية، فإذا افتضت ذهب جزء من إنسانيتها، فإذا حملت ذهب جزء آخر، فإذا وضعت ذهب جزء آخر، فإذا زُني بها خرجت من حد الإنسانية، وقد أتيت على الآخِرِ من الثلاثة، وأنا أُعيذ الملك بالله أن يُخرجني من حد الإنسانية، فرَقَّ لها وتركها[١].

٣٢٨- وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، عن أحمد بن حنبل: أنه سئل عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها؟

قال: لا يتزوجها حتى يعلم أنها قد تابت، قلت: وما علمه بذلك؟

قال: يريدها على ما كان أرادها عليه، فإن امتنعت، فقد تابت، وإن طاوعته لم يتزوجها.

قال: وسئل عن الرجل يفجر بأخت امرأته؟

قال: يعتزل امرأته حتى تنقضي عدة التي فجر بها، إن كانت ممن تحيض بثلاث حيض، وإن لم تحض فثلاثة أشهر، ولا يجتمع ماؤه في أختين[٢].

٣٢٩- قال ابن عقيل: إذا عرف في النساء حب السحاق مَنعْنا خلوة بعضهن ببعض، والسحاق زنا، لكنه لا يوجب الحد بل التعزير، لأنه من غير إيلاج، فهو كوطء الرجل الرجل دون الفرج[٣].

٣٣٠- التبرج: إظهار الزينة وإبراز المحاسن، وكل ما يستدعي شهوة الرجل. وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٠٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٠٩-٣١٠).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣١٥).

وقد اختلف المفسرون في ذلك التبرج:

فقال مجاهد: كانت المرأة في الجاهلية الأولى تخرج فتمشى بين الرجال، فذلك التبرج.

وقال قتادة: هي مشية فيها تكسر وتغنج.

وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر.

وحكى الفراء: أنه لبس الثياب الخفاف التي تصف الجسد

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: نفس خروج المرأة من بيتها ومشيها في الطريق فتنة، فإذا تصنعت في مشيتها لِتُرى محاسنها زاد في الشَّرَكِ حبل[(١)].

٣٣١- أَخْبَرَنَا ابْنُ نَاصِرٍ، قال: أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلَفٍ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، قال: سَمِعْتُ نَصْرَ بْنَ أَبِي نُصَيْرٍ العَطَّارَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ، قال: قَالَ حَاتِمٌ: «كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر ضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب»[(٢)(٣)].

٣٣٢- قال أبو عبيد: وقد رخصت الفقهاء في القرامل، وكل شيء وُصل الشعر به ما لم يكن الوصل شعرًا[(٤)].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣١٩).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٨).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٣٤١-٣٤٢).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٠٥).

٣٣٣- عن سهل بن الحنظلية -وكان لا يولد له-، قال: «لأن يولد لي في الإسلام ولو سقط فأحتسبه، أحب إليَّ من أن تكون لي الدنيا جميعا وما فيها» وكان ابن الحنظلية ممن بايع تحت الشجرة[١].

٣٣٤- عن محمد بن خلف وكيع، قال: كان لإبراهيم الحربي ابن، وكان له إحدى عشرة سنة قد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه شيئًا كثيرًا فمات، قال: فجئت أُعزيه، قال: فقال لي: «كنت أشتهى موت ابنى هذا»، قلت: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صبي قد أنجب وحفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم، رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأَنَّ صبيانا بأيديهم قلالُ ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوما حارًا شديدًا حرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إليَّ وقال لي: ليس أنت أبي؟ فقلت: فأيش أنتم؟ فقال: نحن الصبيان الذين مِتنا في دار الدنيا، وخلّفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته»[٢].

٣٣٥- قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيمانا واحتسابًا، وإلا سلوت كما تسلوا البهائم.

وكتب حَكيم إلى رجل قد أُصيب بمصيبة: إنك قد ذهب منك ما رُزِقت، فلا يذهبن منك ما عُوِّضت، يعني من الأجر.

وقال حَكيم: الجزع لا يرد الغائب ولكن يَسُر الشامت.

وقال آخر: العاقل يفعل أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٦/ ٧٠).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٥٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: وقد علم أن مَمَرّ الزمان يُسْلي المصاب، فلذلك أعد الشرع الصبر عند الصدمة الأولى[١].

٣٣٦- ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة، فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة، وما ذاك إلا من قلة الحزن، فقالت: يا عبد الله، إن لي حزنًا ما شاركني فيه أحد، قال: وكيف؟ قالت: أخبرك، إن زوجي ذبح شاة يوم أضحى، ولي صَبِيَّان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر: أتريد أن أُريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فذبحه، فلما ارتفع الصُّراخ هرب الغلام، فالتجأ إلى الجبل فأكله الذئب، فخرج أبوه يطلبه، فمات عطشًا، فأفردني الدهر، فقال: فكيف صبرت؟

قالت: لو وجدت في الجزع دَرَكًا ما حزنت عليهم[٢].

٣٣٧- قيل لأم خلاَّد بن سُويد بن ثعلبة: قد قتل خلاد، فجاءت وهي منتقبة، فقيل لها: قتل خلادُ وأنتِ منتقبة؟! قالت: «إن كنت رُزِئتُ خلادًا فلا أرزأ حيائي»[٣][٤].

٣٣٨- قال بعض السلف: رأيت في المنام مقبرة وأهلها قد خرجوا من القبور يلتقطون شيئًا، وفيهم رجل جالس على قبره لا يقوم ولا يلتقط، فقلت له: ما هذا الذي يلتقطون؟ فقال: ترحم الناس عليهم، فقلت: وأنت مالك لا

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٦٦-٤٦٧).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٧٠).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٣١).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٧٤).

تلتقط معهم؟ فقال: لي ولد يقرأ القرآن ويهدى لي ثوابه فأنا غنيّ بذلك عن الالتقاط معهم، قال: ثم رأيت بعد مُدة تلك المقبرة وأهلَها وهم يلتقطون، وذلك الرجل يلتقط معهم، فسألته عن حاله، فقال: كنت غنيا بما يبعثه إليَّ ولدي، والآن فقد مات الولد، فاحتجتُ أن ألتقط معهم[١].

٣٣٩- أخبرنا هِبَةُ اللهِ بنُ أَحمدَ الحَرِيريُّ، قال: أَنبأنا مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ العُشَاريُّ، قال: أَخبرنا أَبو بكرٍ البَرْقانيُّ، قال: حَدَّثنا إِبراهيمُ بنُ مُحَمَّدٍ المُزَكِّي، قال: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ إِسحاقَ السَّرَّاجُ، قال: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عمرو الباهِليُّ، قال: حَدَّثنا أَنَسُ بنُ عِيَاضٍ، قال: حَدَّثنا شَيْبَةُ بنُ نِصَاح، عن القَاسِمِ، قال: كُنتُ إِذَا غَدَوْتُ أَبْدَأُ بَيْتَ عَائِشَةَ، أُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَغَدَوْتُ يَوْمًا، فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُسَبِّحُ وَتَقْرَأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور:٢٧] وَتَدْعُو وَتَبْكِي وَتُرَدِّدُهَا، فَقُمْتُ حَتَّى مَلَلْتُ، فَذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ لِحَاجَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ، وإذا هي قائمة كما هيَ، تُصلّي وتبكي[٢].

٣٤٠- قال الشعبي: قال لي شريح: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم، فإنهن النساء. قلت كيف؟ قال: انصرفت من جنازة يومًا، فمررت بدور بني تميم، فإذا امرأة جالسة على وسادة، وتجاهها جارية رَؤُدٌ لها ذؤابة، فأعجبتني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: وممن؟ قالت: هذه زينب بنت حُدير إحدى نساء بني تميم، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: فارغة، قلت: أفتزوجنيها؟ قالت: نعم، إن كنت كفوا، ولها عم فاقصدهُ، فأرسلتُ إلى مسروق وأبي بردة وغيرهما، فوافينا عمها، فقال: ما حاجتك؟ قلت: بنت أخيك زينب بنت حُدير، فزوجني

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٤٩٢).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٣٩).

ثم زُفّت إليَّ.

فلما خلا البيت، قلت لها: إنَّ من السنة أن نصلي ركعتين، وأسأل الله تعالى خير ليلتنا، فالتفتّ فإذا هي خلفي تصلي؛ ثم التفتُّ فإذا هي على فراشها، فمددت يدي، فقالت: على رسلك إني امرأة غريبة، والله ما سرت مسيرًا قط أشد عليَّ منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه.

فقلت أحب كذا، وأكره كذا، فقالت: أخبرني عن أخْتانك أتحب أن يزوروك؟ قلت: ما أحب أن يَمَلوني.

فبتُّ بأنعم ليلة، ثم أقمتُ عندها ثلاثا، ثم رجعتُ إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يومًا إلا وهو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان رأس الحول دخلتُ منزلي، فإذا عجوز تأمرُ وتنهى، فقلت: يا زينب من هذه؟ قالت: أمي، قلت: حياكِ الله بالسلام، قالت: كيف أنت وزوجتك؟ قلت: على خير، قالت: إن رابك ريب فالسوط، قلت: أشهد أنها ابنتك، فكانت كل حول تأتينا فتقول هذا، ثم تنصرف، فما غضبت عليها قط إلا مرة، كنت لها فيها ظالمـًا.

كنت إمام قومي فسمعت الإقامة، وقد رأيت عقربًا، فعجلت عن قتلها، وكفأتُ الإناء عليها، وقلت: لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعَجَّلتِ الإناء فضربتها العقرب، فجئتُ وهي تلْوي، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أفركُ أصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها.

وكان لي جار لا يزال يضرب امرأته، فقلت: رأيت رجالًا يضربون نساءهم

فشلتْ يميني يوم أضرب زينبـا يا شعبي، وددت أني قاسمتها عيشي[١].

٣٤١- أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان،أخت عمر، كانت من الأجواد الكرماء، وكانت تقول: لكل قوم نهمة في شيء ونهمتي في الإعطاء، وكانت تعتق كل جمعة رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وتقول: أف للبخل، لو كان قميصا لمْ ألبسه، ولو كان طريقًا لم أسلكه[٢].

٣٤٢- عُليَّة بنت المهدي:

أمها: أم ولد، اسمها: مكنونة، اشتُريت للمهدي بمائة ألف درهم، فولدت له عُلية، وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن عقلًا وأدبًا ونزاهة وصيانة وظُرْفا، وكان في جبهتها سعةٌ تشين، فاتخذت العصابة المُكلَّلة بالجوهر؛ لتستر بها جبينها، وهي أول من اتخذها، وكانت كثيرة الصلاة، ملازمة للمحراب وقراءة القرآن، وكانت تَتَديَّن وتقول: ما حرم الله شيئًا إلا وقد جعل فيما أحل عوضًا منه، فبماذا يحتج العاصي؟ وكانت تقول: اللهم لا تغفر لي حرامًا أتيته، ولا استفزني لهو إلا ذكرت نسبي من رسول الله ﷺ فقصَّرت عنه[٣].

٣٤٣- قال هشام بن حسان: خرجنا حجاجًا، فنزلنا منزلًا، فقرأ رجل منا: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[الحجر:٤٤]، فسمعت امرأة، فقالت: أعد، فأعاده، فقالت: خلفتُ لي في البيت سبعة أعبُدٍ، أشهدكم أنهم أحرار لوجه الله تعالى، لكل باب واحد منهم[٤].

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٨٢).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٨٥).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٩٤).

٣٤٤- كانت جوهر امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك، فعُتِقت فخلعتِ الدنيا، ولزمت أبا عبد الله البراثي، فتزوج بها وتعبَّدت، فرأتْ في المنام خيامًا مضروبة، فقالت: لمن هذه؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام، وكانت تقول لزوجها: كارِوَان بَرَفَتْ، أي: قد سارت القافلة[١].

٣٤٥- بلغني أن امرأة من أهل بغداد كانت على قدم التقوى والمحاسبة لنفسها، فلقيها رجل، فقرصَ كتفها، فجاءت إلى زوجها، فقالت له: بالله عليك أُصدُقْني، ما الذي فعلت اليوم من الذنوب؟ فقال: قرصتُ كتفَ امرأة، فقالت: فقد قُرص كتفي، فقيل لها: من أين علمتِ؟ فقالت: أنا على قدم المراقبة والاحتراس من نفسي، فعلمت أني قد أوتيت من قِبَلِك[٢].

٣٤٦- قالت أم سفيان الثوري له: يا بني، أطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي، يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة، فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا ينفعك[٣].

٣٤٧- كانت حفصة بنت سيرين قد قرأتِ القرآن، وهي ابنة ثنتي عشرة سنة، وماتت وهي بنت تسعين سنة، ومكثت في مصلاها ثلاثين سنة، لا تخرج إلا لحاجة، وكانت جاريتها تقول: لقد أذنبتْ سيدتي ذنبًا عظيمًا، فهيَ الليل تبكي كله، وتصلي، وكانت تصوم الدهر، وتقرأ القرآن في يومين، وربما طُفيت سراجها، فأضاء لها البيت حتى تصبح!![٤]

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٥٩٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠١).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٢).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٥).

٣٤٨- دخلوا على غفيرة العابدة فقالوا: ادعِي الله لنا، فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المُحسن أَمَر المسيء بالدعاء، جعل الله قراكم الجنة.

وقدم ابنُ أخ لها من غيبة طويلة، فبُشِّرت به، فبكتْ وقالت: والله ما أجد للسرور في قلبي مسكنا مع ذكر الآخرة، ولقد أذْكرني قدومه يوم القدوم على الله، فمسرور ومثبور[١].

٣٤٩- كانت عمرة امرأة حبيب العجمي توقظه بالليل وتقول: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قُدَّامنا، ونحن قد بقينا[٢].

٣٥٠- تزوج رياح القيسي امرأة، فنام في أول الليل ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: نعم، فقامت الربع الآخر، وقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعرى من غرَّني بك يا رياح[٣].

٣٥١- اجتاز بعض الأمراء ببنات حاتم الأصم، فطلب ماءً فسُقِي، فرمى إليهم شيئا من المال، فوافقه أصحابه، فبكتْ بُنَيَّة صغيرة لحاتم، فقالوا: ما يبكيك؟ قالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق ﷻ[٤].

٣٥٢- وَعَن أبي الأسود، قَالَ: الْمُلُوك حكام على النَّاس، وَالْعُلَمَاء حكام

---

(١) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٦).

(٢) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٦).

(٣) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٧).

(٤) «النساء وما يتعلق بهن» (ص٦٠٨).

على الْمُلُوك.

وَقَالَ فتح الْموصِلِي: أَلْيَسْ الْمَرِيض إِذا منع من الطَّعَام وَالشرَاب والدواء يَمُوت؟ قيل لَهُ: بلَى قَالَ: فَكَذَلِك الْقلب، إِذا منع عَنهُ الْعلم وَالْحكمَة ثَلَاثَة أَيَّام يَمُوت.

وَقَالَ الْحسن: لَوْلَا الْعلمَاء لصار النَّاس أمثال الْبَهَائِم.

فيا من خلقه الله إنسانا لَا تجْعَل نَفسك بقلة الْعلم بَهِيمَة، ونافس فِي إعلاء قيمتك بِالْعلمِ.

من لَيْسَ لَهُ علم فَلَيْسَ لَهُ قيمَة. اغتنم تعلم الْعلم، واحضر مجالسه، فَمن لَيْسَ بعالم وَلَا متعلم، فَهُوَ بمنزله الْبَهِيمَة، وَلَيْسَت فطرته سليمَة[١].

٣٥٣- قَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: التزموا كتاب الله، وتتبعوا مَا فِيهِ من الْأَمْثَال، وَكُونُوا فِيهِ من أهل النّظر، رحم الله عبدا عرض نَفسه وَعَمله على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فَإِن وَافق مَا فِيهِ حمد الله وَسَأَلَهُ الزِّيَادَة، وَإِن خَالفه استعتب ربه وَرجع إِلَيْهِ من قريب[٢].

٣٥٤- لَيْسَ الذاكر من قَالَ: سُبْحَانَ الله وَالْحَمْد لله وَقَلبه مصر على الذُّنُوب، وَإِنَّمَا الذاكر من إِذا هَمَّ بِمَعْصِيَة ذكر مقَامه بَين يَدي علام الغيوب، كَمَا قَالَ بعض السّلف: لَيْسَ الذاكر من هَمهمْ بِلِسَانِهِ، وَإِنَّمَا الذاكر من إِذا جلس فِي سوقه، وَأخذ يزن بميزانه، علم أَن الله مطلع عَلَيْهِ، فَلم يَأْخُذ إِلَّا حَقًّا وَلم يُعْط إِلَّا حَقًّا[٣].

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٥٦).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٠).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٨٦).

٣٥٥- قَالَ يحيى بن معَاذ: كونُوا عباد الله بأفعالكم كَمَا زعمتم أَنكُمْ عبيد الله بأقوالكم.

وَقَالَ البناجي: مَا التنعم إِلَّا فِي الْإِخْلَاص، وَلَا قُرَّة الْعين إِلَّا فِي التَّقْوَى، وَلَا رَاحَة إِلَّا فِي التَّسْلِيم[١].

٣٥٦- قَالَ الإِمَام أَحْمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا أعْلَم النَّاس فِي زمَان أحْوج مِنْهُم إِلَى طلب الحَدِيث من هَذَا الزَّمَان. قيل: وَلم؟ قَالَ ظَهرت بدع فَمن لم يكن عِنْده حَدِيث وَقع فِيهَا[٢].

٣٥٧- قَالَ الفضيل بن عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: إِن لله تَعَالَى مَلَائِكَة يطْلبُونَ حلق الذّكر، فَانْظُر مَعَ من يكون مجلسك، فَلَا يكون مَعَ صَاحب بِدعَة، فَإِن الله لَا ينظر إِلَيْهِم، وعلامة النِّفَاق أَن يقوم الرجل وَيقْعد مَعَ صَاحب بِدعَة.

لَو أَن المبتدع تواضع لكتاب الله وَسنة نبيه لَاتبع مَا ابتدع، وَلكنه أُعجب بِرَأْيِهِ فاقتدى بِمَا اخترع، فالتواضع أصل كَبِير يتَفَرَّع مِنْهُ شَيْء كَبِير[٣].

٣٥٨- قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكعب الْأَحْبَار: يَا كَعْب حَدثنِي عَن التَّقْوَى، فَقَالَ: يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ، هَل أخذت طَرِيقا ذَا شوك؟ قَالَ: نعم، قَالَ: فَمَا صنعت؟ قَالَ حذرت وشمَّرت، قَالَ فَكَذَلِك التَّقْوَى[٤].

٣٥٩- حكم ومأثورات:

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٦).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٧).

(٣) «التذكرة في الوعظ» (ص٩٧).

(٤) «التذكرة في الوعظ» (ص١٢٣).

حسرة الْفَوات أَشد من سكرة الْمَوْت.

أوجع الْأَلَم حرقة النَّدَم.

أَشد الْعَذَاب فرقة الأحباب.

مَا طرق أسماع السامعين أقطع من ﴿اخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨] لَا أستر للعورات من لِبَاس التَّقْوَى، وَلَا أغْنى للفاقات من القناعة وَالرِّضَا.

مجالسة الْعُقَلَاء تزيد فِي الْعقل، ومجالسة الْجَاهِلين تزيد فِي الْجَهْل، ومخالطة الْمَسَاكِين تذْهب الْكبر[1].

٣٦٠- فِي ذكر نبذة من كَلَام السّلف الْأَعْلَام، فَفِي كَلَامهم جلاء الهموم وشفاء الأسقام:

من أَرَادَ أَن يسلم لَهُ دينه ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل النَّاس، وَمن لم يعرف قدر النعم سلبها من حَيْثُ لَا يعلم، وَمن عجز عَن أدب نَفسه كَانَ عَن أدب غَيره أعجز.

قُلُوب المغترين معلقَة بالسوابق، وَقُلُوب الْأَبْرَار معلقَة بالخواتيم.

من النذالة أَن يَأْكُل الْإِنْسَان بِدِينِهِ.

من حاسب نَفسه استحيا الله من حسابه.

احذر أَن تكون ثَنَاء منشورا وعيبا مَسْتُورا.

أمس أجل وَالْيَوْم عمل وَغدا أمل.

حرَام على قلب محب الدُّنْيَا أَن يسكنهُ الْوَرع، وَحرَام على عَالم لم يعْمل

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٤٥).

بِعِلْمِهِ أَن يتخذوه المتقون إِمَامًا.

الْمُؤمن إِذا زَاد ماله زاد سخاؤه.

وَإِذا زَاد عمره زَاد اجْتِهَاده.

عَلامَة إِعْرَاض الله عَن العَبْد أَن يشْغلهُ بِمَا لَا يعنيه.

الطَّرِيق إِلَى الله مسدود على الْخلق إِلَّا على الْمُتَّقِينَ.

من علم أَن الله هُوَ الضار النافع أسقط مخاوف المخلوقين.

يَا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كَيفَ لَا يمِيل بكليته إِلَيْهِ.

-إِنَّمَا حلا كَلَام السّلف فِي مذاق الأسماع، وعظمت فِيهِ الْبركَة، وَحَسُن بِهِ الِانْتِفَاع؛ لأَنهم كَانُوا بِهِ عاملين، وَفِي نشره مُخلصين[1].

٣٦١- قَوْله تَعَالَى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس:٥] قال ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يَقُول الله تَعَالَى: لَو جعلت شمسين، شمسا بِالنَّهَارِ وشمسا بِاللَّيْلِ، لَيْسَ فِيهَا ظلمَة وَلَا ليل، لم تعلمُوا عدد السنين والحساب[2].

٣٦٢- من أَقْوَال السّلف:

- الْعُمر ثلج، وَالْأَجَل شمس، وَلَا يزَال حرهَا يشْتَد كلما دنت، فَهِيَ تلتمس الثَّلج فَلَا عين وَلَا أثر.

- الْفقر لَهُ حُرْمَة وحرمته ستره والغيرة عَلَيْهِ، فَمن أظهره وبذله فَلَيْسَ هُوَ من أَهله.

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٤٩).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٥٩).

- الصَّبْر ترك الشكوى، وَالرِّضَا استلذاذ الْبلوى.

- من ألزم نَفسه بآداب السّنة عمر الله قلبه بِنور الْمعرفَة.

- أقرب شَيْء إِلَى مقت الله رُؤْيَة النَّفس أحوالها.

- الْحر عبد مَا طمع، وَالْعَبْد حر مَا قنع.

- البريء جريء والخائن خَائِف.

- من كَانَ يسره مَا يضرّهُ مَتى يفلح؟

- من عرف الله لَا يكون لَهُ غم.

- احذر أَن تخاصم من إِذا نمت كَانَ منتبها.

مَعْنَاهُ: لَا تعادي أَوْلِيَاء الله فَإِنَّك تنام وهم مستيقظون، فَرُبمَا دعوا عَلَيْك، فاستجيب فِيك وَأَنت لَا تشعر، احذر سِهَام الله حِين تنام والمظلوم ساهر[1].

٣٦٣-كَانَ ابْن الجلا رحمة الله عَلَيْهِ إِذا سُئِلَ عَن الْمحبَّة: قَالَ مَالِي وللمحبة، أَنا أُرِيد أَن أتعلم التَّوْبَة.

إذا ادَّعَت نَفسك محبَّة الله فطالبها بِصِفَات محبته؛ لتعلم أصادقة هِيَ أم كَاذِبَة فِيمَا تدعيه[2].

٣٦٤- سُئِلَ الشلبي: عَن أَي شَيْء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثمَّ عَصَاهُ، إِنَّمَا كَانَت مَعْصِيّة الْعَارِف من الْعجب العجيب؛ لِأَنَّهُ من الجناب الْعَزِيز قريب، وَعَلِيهِ من الله فِي كل حَال رَقِيب، فَهُوَ لقُرْبه من الله كَأَنَّهُ يرَاهُ، أما الْعين محجوبة

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٦٧-١٧٠).

(٢) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٠).

وَلَكِن الْقلب يتملاه[١].

٣٦٥- طلّق رجلٌ امرأته، فقالت له: أبعد صحبةً خمسين سنةً قال: ما لك عندنا ذنبٌ غيره[٢]؟

٣٦٦- قال الأصمعي: بنات العمّ أصبر، والغرائب أنجب. وما ضرب رؤوس الأبطال كابن عجميّة[٣].

٣٦٧- قال أبو الخطّاب: كان عندنا رجلٌ أحدبٌ فسقط في بئرٍ فذهبت حدبته وصار آدرًا فدخل عليه جيرانه يهنّئونه فقال: الذي جاء شرٌّ من الذي مرّ[٤].

٣٦٨- قال محمّد بن يحيى المدني: سمعت عطاء يقول: كان الرّجل يحبّ الفتاة فيطوف بدارها حولًا كاملًا يفرح إن رأى مرآها، وإن ظفر منها بمجلسٍ تشاكيا وتناشدا الأشعار. فاليوم يشير إليها، وتشير إليه، فإذا التقيا لم يشكوا حبًّا، ولم ينشدا شعرًا. وقام إليها كأنّه أشهد على نكاحها أبا هريرة وأصحابه[٥].

٣٦٩- قيل لبعض الأعراب، وقد طال عشقه لجاريةٍ: ما أنت صانعٌ لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله؟ قال: إذا، والله لا أجعله أهون النّاظرين، لكنّي أفعل بها ما أفعل بحضرة أهلها، حديثٌ يطول، ولحظٌ كليل وترك ما يكرهه

---

(١) «التذكرة في الوعظ» (ص١٨٠).

(٢) «أخبار النساء» (ص١١).

(٣) «أخبار النساء» (ص١٢).

(٤) «أخبار النساء» (ص٢٠).

(٥) «أخبار النساء» (ص٤٢).

الرّبّ، وينقطع به الحبّ[١].

٣٧٠- قيل لليلى هذا قيسٌ مات لما به من عشقك. قالت: ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه. قيل لها: فما عندك حيلةٌ تخفّف ما به؟ قالت: صبري، وصبره، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

- وقيل لعفراء، وقد بلغها ما نزل بعروة، فكادت تبوح بسرّها فقيل لها: أما عندك له حيلةٌ تخفّف ما به؟ فقالت: والله، لأنا أسرّ بذلك وأشوق إليه منه، ولكن لا سبيل إلى احتمال العار، ودخول النّار[٢].

٣٧١- قال العتبي: قال أعرابيٌّ: إن لم يكن العشق ضربًا من السّحر إنّه لسعةٌ من الجّنون[٣].

٣٧٢- وسئلت أعرابيّةٌ عن الهوى، فقالت: هو الهوان غلطٌ باسمه، وإنّما يعرف ما نقول من أبكته المعارف والطّلول[٤].

٣٧٣- كانت عند رجل امرأةٌ يقال لها أم مالك وكان بها معجبًا. فأقسمت عليه أمّه أن يطلّقها، فذهب عقله، ونحل جسمه. فحضره الموت، فدخلت عليه أم مالك تعوده، فلمّا ولّت قال لأمّه: يا عجوز ليهنك فقد ابنك في الدّنيا، والإثم لك في الآخرة. ثمّ أنشأ أن يقول:

لنـــا حاجـــةٌ في آل مـــروان دونهـــا ... مـــن النّفـــر الغـــرّ الوجـــوه قبيـــل

---

(١) «أخبار النساء» (ص٥٣).

(٢) «أخبار النساء» (ص٥٥).

(٣) «أخبار النساء» (ص٥٨).

(٤) «أخبار النساء» (ص٥٨).

فمت كمدًا إنّ كان يومك قد أتى أو اصبر على ما خلّيت فقليل

فلمّا خرجت عنه، فاضت نفسه. وما وصلت إلى منزلها حتّى سقطت ميّتة[١].

٣٧٤- وعن علقمة: أنّ معاذ بن جبل كان يأكل تفّاحةً ومعه امرأته، فدخل عليها غلامٌ، فناولته أمرأته تفّاحةً قد أكلت منها فأوجعها ضربًا[٢].

٣٧٥- قال الحارث بن كَلَدة: الذي قتل البرِيَّة، وأهلك السباع في البَرِّيَّة، إدخال الطعام على الطعام.

وقال غيره: لو قيل لأهل القبور ما كان سبب آجالكم؟ لقالوا: التُّخَم[٣].

٣٧٦- عن عقبة الراسبي،قال: دخلت على الحسن فوافقته يتغدى، فقال: هلم، فقلت: أكلت حتى لا أستطيع أن آكل، فقال: سبحان الله! ويأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل؟![٤]

٣٧٧- قال أبو محمد الرامهرمزي: إنما يشبه البخل بالداء؛ لأنه يفسد الخلق، ويدفع عن السؤدد، ويكسب سوء الثناء والمذمة، كما أن الداء يُضعف الجسم، ويبطل الشهوة، ويغير اللون.

وقد قالت الحكماء: الكريم حر؛ لأنه يملك ماله، والبخيل لا يستحق اسم الحرية؛ لأن ماله يملكه.

---

(١) «أخبار النساء» (ص٧٣-٧٤).

(٢) «أخبار النساء» (ص٨٣).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٠٨).

(٤) «الطب الروحاني» (ص١٠٩).

وقال بشر الحافي: بقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين[١].

٣٧٨- قال ابن مسعود: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب»[٢].

٣٧٩- قال الأحنف: ما اعترض التثبت في الغضب إلا وَهَن سلطان العجلة.

وقال مورق: ما تكلمت بكلمة في الغضب فندمت عليها في الرضا. وكان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه الرجل، قال: بارك الله فيك[٣].

٣٨٠- أُتِيَ عمر بن عبد العزيز برجل كان واجدًا عليه، فقال: لولا أني غضبان لضربتُك، ثم خلى سبيله[٤].

٣٨١- عن الحسن قال: تراهم يَهدرون عنده هدير الفِحالة، أنت والله، أنت والله، وتراه مُقنعًا ساكتًا، يحسب حُمَيّق أنه مثل ما يُقال له. قال: وترى أحدهم يتخزل في مِشيته، يَسحب عظامه عظمًا عظمًا، لا يمشي طبيعة[٥].

٣٨٢- قال ابن عباس: «ركعتان مُقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه».

وعن عون قال: سألت أم الدرداء، ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار.

ووقف مالك بن دينار ليلة في داره على قدمه إلى الفجر، فقال: «ما زال أهل

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١١٨).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٤٣).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٣٥-١٣٦).

(٤) «الطب الروحاني» (ص١٣٧).

(٥) «الطب الروحاني» (ص١٤٢).

النار يُعرضون عليّ بسلاسلهم وأغلالهم إلى الصباح».

وقال بعض الحكماء: بترداد الفكر يَنجاب العمى[١].

٣٨٣- عن إبراهيم بن عيسى قال: ما رأيت أطول حزنًا من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة[٢].

٣٨٤- قال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

قلت: وهذا صحيح لما بينا من أن الخوف سوط يساق به المُتوانى، فإذا كَلَّ البعير لم يبق إلا الرفق.

فإن قيل: فما تقول في خوف عمر عند الموت؟

فالجواب: أنه لما تعلقت به حقوق الرعية خاف من مُطالب طبعه مبني على الشح، فكان يقول: «إنما أخاف ولايتكم هذه»، على أنه قد كان يتمسك بأذيال الرجاء، فإن ابن عباس لما قال له: أبشر يا أمير المؤمنين، وَلِيتَ فعدلت ثم شهادة، فقال: أتشهد لي بهذا عند الله يا ابن عباس؟[٣]

٣٨٥- عن إبراهيم: قال: كانوا يستحبون أن يُجهدوا عند الموت.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: ما أحب أن تُهوَّن عليَّ سكرات الموت، إنه آخر ما يُكفر به عن المرء المسلم[٤].

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٥٢).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٥٤).

(٣) «الطب الروحاني» (ص١٦٧).

(٤) «الطب الروحاني» (ص١٦٨).

٣٨٦- قال ابن مسعود: إني لأبغض الرجل أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.

وقال: يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم، يسمون الأنتان.

وقال ابن عباس: تزوج التواني بالكسل، فوُلد بينهما الفقر.

وقال مالك بن دينار: ما من أعمال البر شيء إلا ودونه عقبة، فإن صاحبها أفْضت به إلى رَوْح، وإن جزع رجع.

وقال سفيان الثوري: مضى القوم على خيل عتاق، وبقينا على حمر دَبِرة[١].

٣٨٧- وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيُعدها لنفسه، فإذا صلى بالليل أطعمها.

وكان الثوري يأكل ما يشتهي، ثم يقوم إلى الصباح، ويقول: أطعم الزِّنجي وكُدَّه[٢].

٣٨٨-رُوِيَ عَن عَليّ بن أبي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنه قَالَ من جمع سِتّ خِصَال لم يدع للجنة مطلبا وَلَا عَن النَّار مهربا:

أَولهَا: من عرف الله فأطاعه.

وَالثَّانية: من عرف الشَّيْطَان فَعَصَاهُ.

وَالثَّالِثَة: من عرف الْحق فَاتّبعهُ

وَالرَّابِعَة: من عرف الْبَاطِل فاجتنبه وَالْخَامِسَة: من عرف الدُّنْيَا فَرفضها.

---

(١) «الطب الروحاني» (ص١٧٢).

(٢) «الطب الروحاني» (ص١٨٣).

وَالسَّادِسَة: من عرف الْجنَّة فطلبها[١].

٣٨٩-رُوي عَن أبي سعيد أَنه قَالَ فِي قَول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الْحجر ٤٢] كَأَنَّهُ يَقُول: إِن كَانَ لَك عَلَيْهِم أَن تلقيهم فِي مَعْصِيّة الله، فَلَيْسَ لَك عَلَيْهِم أَن تمنعهم من مغْفرَة الله.

وَقَول آخر: إِن كَانَ للشَّيْطَان سُلْطَان فِي إِلْقَاء العَبْد فِي الْمعْصِيَة؛ فَأولى أَن يكون لمغفرة الله سُلْطَان فِي تَطْهِير العَبْد من الخطيئة، وَلَيْسَت قُوَّة الشَّيْطَان بِأَكْثَرَ قُوَّة من مغْفرَة الرَّحْمَن فِي قُلُوب أهل الْإِيمَان[٢].

٣٩٠-سُئِلَ بعض الْحُكَمَاء: مَا الْحِكْمَة فِي أَن لم يُعْط إِبْلِيس اثْنَان من ابْن آدم وَأعْطى أَرْبَعَة؛ أُعطيَ من بَين يَدَيْهِ وَمن خَلفه وَعَن يمنيه وَعَن شِمَاله، بَين الْجِهَات الْأَرْبَع لم يُعْط إِبْلِيس أَن يَأْتِيهِ من فَوق وَلَا من تَحت؟ قَالَ: لِأَن الْأَرْبَع جِهَات تدْخلهَا الْمُشَاركَة فِي الْأَعْمَال وَ«فَوق» مَوضِع نظر الرب جَلَّجَلَالُهُ إِلَى قُلُوب عباده الْمُؤمنِينَ، وَ«تَحْت» مَوضِع سُجُود الساجدين بَين يَدي رب الْعَالمين.

عصمنا الله وَإِيَّاكُم من فتنته عصمَة يُدخلنا بهَا فِي رَحمته، وَتَابَ علينا وعَلى جَمِيع المذنبين، إِنَّه تواب رَحِيم، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِالله الْعلي الْعَظِيم[٣].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

❑ ❑ ❑

(١) «بستان الواعظين» (ص٥٨).
(٢) «بستان الواعظين» (٦١-٦٢).
(٣) «بستان الواعظين» (ص٧٤).